الطّريق الأبديّ للصّدقات

زينُ الدِّين دداش



1442 هـ - 2021 م

ردمك: 5 - 36 - 828 - 9931 - 978
الإيداع القانوني : السداسي الأول 2021.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

(القرآن الكريم: سورة الفاتحة (1)، الآيات: من 1 إلى 7).



﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

(القرآن الكريم: سورة النّحل (16)، الآية: 125).



المحتويات



إهداء

في نهاية يونيو عام 1980، عقد والدَيّ اجتماعًا أسريًّا للاحتفاء بسفري إلى مدينة نيويورك (في الولايات المتحدة الأمريكية) للبدء في الدراسات العليا. وفي الليلة السابقة، خرج أبي في رحلة لصيد السمك، ثم عادَ مع إشراقة الصباح الباكر مُبتهجًا وهو يحمل بيده بعضًا من الأسماك وفي جَعبته قصصٌ ملهمة يرويها. وبدأت أمي في تنظيف الأسماك لتحضير وجبة العشاء لأحد المأكولات المحببة إلى أبي؛ وهو طبق السّمك المشوي بالخضار في الفرن. وعلى مائدة العشاء، تجاذبتُ أطراف الحديث مع والدَيّ، وقد طرحَا العديد من الأسئلة المتعلقة بحياتي الجديدة في مدينة نيويورك، فيما اعتراهما شيء من القلق بشأن ذلك الأمر. ثم ما لبثنا أن احتسينا أكواب الشّاي بأوراق النّعناع بعد الانتهاء من تناولنا لوجبة العشاء المتأخرة، وحينها دَنَا أبي منّي وهمس قائلًا: «إننا لا ندرك قيمة مَن حولنا إلا بعد أن يغادرون».

أَمّا الآن وقد غادر أبي عالمنا، فقد أدركتُ حقيقة قوله.

إهداء إلى أبي «الصَّياد السَّعيد»



تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ومن إتبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين

أثار هذا الكتاب إعجابي،لأنه تناول موضوع الصدقة بطريقة جديدة لم أعهدها من قبل،وفق فيها بين منهج الشرع والعقل..فتوصل بعد تدبرفي الكون واشتغاله بعلوم الطبيعة وإجرائه للتجارب وإحتكاكه بمختلف الشعوب وثقافتهم إلى أن الكون تحكمه نواميس الحياة،ويقوم مبدِؤها على قانون الأخذ والعطاء قانون الصدقة..وهذا المبدا هو الذي يجعل الحياة مستمرة في عالم الأحياء...

وقد توصل الأستاذ الكريم أن المبادئ العلمية تنتمي إلى علم إلهي فرضه اله على الكون،وان هذا الكون مدرسة عالمية للإنسان.

عكف أستاذنا على تجلية معنى الصدقة وأثرها على الحياة الإنسانية،وان الصدقة هي إسعاد الذات قبل إسعاد الغير،فمن أراد أن يسعد نفسه فليسعد غيره..والصدقة لا تقتصر على التفضل على الغير بالمال بل هي أوسع من ذلك فهي تشمل إعانة الملهوف،الكلمة الطيبة وإماطة الأذى من الطريق...قال عليه السلام:

كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة

إن الصدقة هي قيمة أخلاقية تذيب الأنانية في النفس الإنسانية كما تذيب الحرارة الجليد..إلا أن ابعادها في حياة الإنسان غير المسلم تختلف عنها في حياة المسلم..فالرجل الغربي أوغيره يندفع إلى الصدقة رغبة في إسعاد

الغير..أما المسلم فيندفع إليها إبتغاء الأجر والثواب.فهي تحقق السعادة لصاحبها ولمن إستحقها وهي قربة من المولى عز وجل وجنة من النار..

أشكرك سيدي..على هذاالإبداع الفكري لأن المكتبة الإسلامية في أمس الحاجة إلى هذا النوع من الدراسة

التي يعتمد عليها في المجال الدعوي.

22رجب 1442 الموافق ل06/03/2021

الأستاذ نصرالدين غزال

مقدّمة:

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ]

(القرآن الكريم: سورة الحجرات (49)، الآية: 13).

لقد نشأتُ في الجزائر، بينما درستُ في العديد من المدن المختلفة، مثل مدينة نيويورك (في الولايات المتّحدة الأمريكيّة)، ومدينة كيبيك (بكندا)، ومدينة أوساكا (باليابان). وسعيًا إلى إشباع تعطشي للمعرفة، فقد بدأتُ في الدراسات العليا لاستكشاف العالم المجهول، وفهم الطبيعة البشرية وسبر أغوارها. فقد منحتني تلك الخبرات الحياتية والتعليمية هذه الفرصة الذهبية لمعرفة جوانب مختلفة تمامًا من العلوم الطبيعية بإجراء التجارب في المختبرات، وكذلك لاكتشاف المزيد من الجوانب المتعددة للطبيعة البشرية من خلال التفاعل مع مختلف الثقافات والأديان والخلفيات الاجتماعية. ومع الالتزام بتراثي الإسلامي، تمثّل التحدي الأكبر بالنسبة إليّ في السعي لفهم الاختلافات الثقافية والدينية دون اتباعها أو أن أحيد عن الصراط المستقيم. وكما لو كنت أبحث عن شيء في أعماقي، خرجت ببساطة من ظلّ العباءة الثقافية لاستشعار مدى دفء الطبيعة البشرية وجفائها. لذلك، فقد دفعني حب الاستطلاع إلى عبور الحدود لاستكشاف الممارسات الثقافية والدينية على نحو متعمق.

في بادئ الأمر، لاحظتُ العديد من أوجه التشابه بين البشر؛ حيث غالبًا ما تُساورنا مشاعر مماثلة للأسباب ذاتها. أذكر أنني قد حظيتُ بذكريات رائعة تبرهن على أن جميع البشر تساورهم المشاعر ذاتها، وذلك عندما حضرت حفلات زفاف للعديد من أصدقائي من مختلف الثقافات ممن جمعهم الحب رغم اختلافاتهم الثقافية. وعلاوة على ذلك، وفي حين أن الممارسات والأعراف قد تختلف، إلا أن البشر جميعهم لديهم الدوافع والاحتياجات الأساسية ذاتها، فعلى سبيل المثال، تستخدم بعض الثقافات أدوات المائدة

عند تناول الطعام، بينما البعض الآخر يستخدم يدَيه أو أعواد الطعام، إلا أن جميعهم يتناولون الطعام من أجل التغذية والبقاء على قيد الحياة. وعلى غرار ذلك، فإن الحاجة إلى التواصل والتعبير عن المشاعر الإنسانية تتضمن استخدام العديد من اللغات واللهجات، كما تتباين ممارسات الشعائر الدينية تباينًا واسعًا، وهو ما لاحظتُه بشكل مفصل عند زيارة الكنائس في مدينتَي نيويورك وكيبيك، وزيارة الأضرحة في اليابان، وملاحظة الممارسات الدينية في هذه المدن.

عند انتهاء رحلاتي، وبروح مليئة بالكثير من التجارب المدهشة، عدْتُ بسلام إلى الجزائر للاسترخاء والتأمل والنظر في مستقبلي. وأثناء الأشهر الأولى تحت سماء موطني، أدركتُ أن الانغماس في الثقافات المختلفة تسبَّب في تغيرات في قرارة نفسي وتفكيري، فمنذ أن أتيحت لي الفرصة لاستبصار أغوار نفسي من خلال مرآة الخلفيات المختلفة، صرت أرى الإنسانية كشجرة ذات جذر واحد وتحمل فروعها ثمارًا متنوعة من الفاكهة. وكنتيجة لذلك، شعرتُ أن العالم غير المنظور أكثر أهمية بالنسبة إليّ من الجوانب الثقافية والمادية. وبغية استكشاف مدى تأثير تجربة سفري إلى الخارج في إيماني، قررتُ تعميق معرفتي بالإسلام من خلال الاستماع يوميًّا إلى المصادر؛ مثل «تفسير القرآن الكريم»، وحلقات برنامج «أسماء الله الحُسنى» لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي. فقد غمرني شعور بالطمأنينة والسعادة عندما أدركتُ أن الرسائل التي تتضمنها هذه المحاضرات متوافقة مع الدروس المستفادة من تجربة سفري في الخارج، ولا سيما التفسير الميسر وذي النفع العظيم الّذي قدَّمه فضيلة الدكتور النابلسي حول أهمية معرفة الله (سبحانه وتعالى) أولًا من خلال خلقه وآياته الكونية حتى نعبده حق عبادته. وانطلاقًا من هذا المنظور، فإن معظم المسلمين على علم بأركان الإسلام الخمسة ويؤدونها؛ وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا. بَيْدَ أنَّهُ، وعلى غِرار أي مَبنى أو بِنية، يتعين أن ترتكز هذه الأركان الخمسة على أساس.

وبحسب تفسيري الشخصي، فإن هذا الأساس هو بمثابة روح الإسلام الّتي تقوي إيماننا بالله (سبحانه وتعالى)، فأركان الإسلام الخمسة بمثابة أجزاء الجسم الّتي يتعين على المرء معرفتها؛ وذلك حتى نمارس عقيدتنا حبًّا وحمدًا لله. ويجدر بالذكر أن العناصر الثلاثة الأكثر أهمية في الإسلام هي:

1. العقل المتدبر: العقل بمثابة مَلَكة تُميِّز الإنسان عن سائر المخلوقات، فقد ميَّز الله (سبحانه وتعالى) الإنسان عن باقي مخلوقاته بنعمة العقل البشري المتدبر، وهو من أعظم نعم الله على البشرية ليرشدنا إلى إدراك آياته من حولنا.
2. اتّباع الفطرة السليمة: الإسلام هو دين الفطرة السليمة؛ فالمرء يُولد وبداخله حب فطري لعمل الخير والإحسان إلى الآخرين ومَدّ يد العون لهم. وبالنظر إلى تجارب سفري، فقد صادفتُ في كل مكان أشخاصًا طيبين؛ وهو ما يؤكد أن الخير لا يعتمد وجوده على أي خلفية ثقافية أو دينية معينة.
3. التوحيد: التوحيد يعني أن الله واحد لا شريك له في سلطانه وأفعاله، وأنَّ العقل المتدبر والفطرة السليمة هما الجناحان اللذان يوصلان إلى إدراك حقيقة التوحيد. فضلًا عن ذلك، ومن أجل مساعدتنا على اعتناق نهج التوحيد في حياتنا اليومية، فقد أرسل الله (سبحانه وتعالى) الأنبياء وأنزل الكتب السّماويّة ليُرشد البشرية إلى عبادته وحده.

وفي الختام، قادتني معرفتي ومنظوري الحالي إلى استنتاج أن الروحانية هي أمر ضروري في الإسلام؛ حتى نتمكن من إدراك أن الله وحده بيده ملكوت كل شيء وراء حدود عالمنا المادي المرئي. ومن جهتي، أدركتُ الآن أن يد الله الخفية كانت ترشدني خلال كل حدث من حياتي، سواء أكان حدثًا إيجابيًّا أم سلبيًّا. وفي بعض الأحيان، هيَّأ ذلك فرصًا ذات نفع في حياتي، ولعله أبعدَ الضُّرَّ عن طريقي في الكثير من المواقف أو الخيارات.



نبذة عن الكتاب

إذا كنت منغمسًا ومستغرقًا تمامًا في إجراء أي نشاط اجتماعي أو مهني، فقد تمر بحالة ذهنية يُعرِّفها علماء النفس بحالة «التدفق»، حيث يتملّكك التركيز وتجد شعورًا بالمتعة خلال إجراء هذا النشاط. فقد يساور البعض هذا الشعور الممتع من حالة التدفق أثناء ممارستهم الرياضة، بينما قد يمر آخرون بمثل هذه التجربة أثناء المشاركة في نشاط مثل الرسم أو القراءة أو صيد الأسماك. وبالنسبة إلى البعض الآخر، قد ينطوي هذا النشاط على تقديم المساعدة للأشخاص، أو رعاية الحيوانات أو النباتات، وهو الأمر الذي يتعلق بطريقة أو أخرى بحالة الروح الّتي تم تقديمها في ثنايا هذا الكتاب وعنوانه «الطّريق الأبديّ للصّدقات». والواقع أنه خلال إجراء أي نشاط قائم على الصدقات، ستنعم بشيء من السكينة في قلبك، وأحيانًا قد تغمر دموع الفرح روحك ابتهاجًا؛ ما يعني أنك سلكتَ سبيل السعادة عندما وضعتَ مسار حياتك على الطّريق الأبديّ للصّدقات. ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن الغرض من خلق الإنسان وسائر المخلوقات هو عبادة الله وحده، ومن ثَمَّ فإن مساعدة الآخرين ترتقي إلى أسمى العبادات.

[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ]

(القرآن الكريم: سورة الحج (22)، الآية: 18).

حثتني هذه الآية القرآنية على إيجاد القواسم المشتركة في أوامر الله الكونية والشرعية، كما شجعتني على كتابة هذا الكتاب. وتعتمد رحلتي الاستكشافية على شقَّين أساسيَّين، وهما: الدروس المستفادة من الخبرات المهنية والاجتماعية طوال مدة رحلاتي، والعِبَر المستخلصة من محاضرات فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي. وبالنظر إلى الشق الأول، فمنذ سنوات عديدة عندما كنت أُجري أبحاثًا حول أنواع مختلفة من المجالات

العلمية واستعنتُ بنظريات متنوعة لتفسير البيانات المستقاة من تجاربي، أدركتُ حينها أنه إذا كانت النماذج الرياضية المستخدَمة في شتى مجالات العلوم قد تبدو متباينة في التطبيق، فإن هذه النماذج لديها المفهوم المتأصل ذاته. وعليه، فقد توصلت إلى استنتاج مفاده أن تلك المبادئ العلمية يمكن أن تنتمي إلى علم إلهي واحد فرضه الله (سبحانه وتعالى) على الكون أجمع. وكان من شأن هذا الافتراض أن قادني إلى تنوير الجانب الروحي بداخلي؛ مما أشعل حماسي تجاه البحث عن مصدر القوى الخفية التي تتجاوز حدود عالمنا المادي. أما الشق الثاني، فبناءً على العِبَر المستخلصة من محاضرات الشيخ الدكتور النابلسي، توصلتُ إلى أن فهم روح الإسلام هو أمر ضروري لبلوغ الإيمان الراسخ حتى نعبد الله حبًّا وحمدًا؛ إذ يسلِّط هذا الكتاب الضوء على أن عبادة الله مرتبطة بإضافة ممارساتنا اليومية إلى الأنشطة الاجتماعية والمهنية بوصفها عملًا من الأعمال الصالحة في الطّريق الأبديّ للصّدقات.

أسماء الله الحُسنى

[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]

(القرآن الكريم: سورة الحج (22)، الآية: 46).

في أحد الأيام الملبدة بالغيوم في يناير لعام 1981، ذهبتُ برفقة صديقي الجزائري (أحمد) إلى وسط مانهاتن في مدينة نيويورك لزيارة مبنى «إمباير ستيت»، وبينما كنا نستقلّ المصعد إلى الطابق 102 من المبنى، لم نَرَ سوى عدد ضئيل من الزوار نظرًا لسوء الأحوال الجوية. وعندما نظرنا من قمة ناطحة السحاب هذه، وجدنا مباني مدينة نيويورك جميعها مخبّأة خلف الغيوم، إلا أننا شعرنا بالدهشة وتشوقنا إلى رؤية السماء الزرقاء الصافية تُظِلّنا في هذا اليوم المظلم. وبمجرد مغادرتنا المبنى، انهمرت زخات المطر من السماء؛ لذا قررنا استقلال الحافلة والعودة إلى الفندق المخصص للطلاب الدوليين والمعروف باسم «إنترناشونال هاوس». وعندما وصلنا إلى محطة الحافلات في جامعة كولومبيا، اتفقنا على السير معًا للاستمتاع بصوت هطول الأمطار الغزيرة واستنشاق رائحتها المنعشة، ثم ما لبثت السماء أنْ أشرقت بأشعة الشمس وأدَلتْ بِجدائِلِهَا الذَّهبيةِ حتى غمرت البهجة قلوبنا. إن ما أرغب في قوله بعد التفكير مليًّا والتأمل في خبراتي الحياتية، أنه من أجل رؤية الشمس خلال يوم مُلبَّد بالغيوم، كان عليّ أن أبصر بعين قلبي الروحية، حتى أُدرك أن نور الله يحيط بنا أينما كنا ليُرشدنا ويُنير طريقنا ولو تلبدَت حياتُنا بالغيوم المظلمة يومًا.

[اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ]

(القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 255).

إن لفظ الجلالة «الله» يعني الإلَه باللغة العربية، وهذا اللفظ مشتق

من كلمة (الإِلَه)، ومكوّن من إدغام كلمتَين؛ وهما «ال» و «إله»، كما أن هاتَين الكلمتَين تعنيان «الرب» في اللغتين العبرية والآرامية[1]. وبالإضافة إلى أن الركن الأول من أركان الإيمان في الإسلام هو الإيمان بالله وعبادته حبًّا وخوفًا ورجاءً؛ ومن أجل ذلك، يصف الله (سبحانه وتعالى) نفسه بأسمائه الحُسنى التسعة والتسعين المذكورة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية (موضَّحة في الجدول الأول)؛ ومن ثَمَّ، فإن معرفة أسماء الله الحُسنى هي بمثابة معرفة الغرض من خلقنا، بينما الجهل بمعاني أسمائه الحُسنى يُعَدّ تقصيرًا في معرفة الحكمة من وجودنا. وفي حقيقة الأمر، كلما ازددنا علمًا عن أسماء الله الحُسنى، ازداد إيماننا وقَوِيَت عقيدتنا الإسلامية؛ لذلك فإن أكثر المعارف قدسيةً وبركةً تتمثل في فهم معاني أسماء الله الحُسنى، بل لعل الأمر الأكثر أهميةً هو التخلُّق بأسماء الله الحُسنى وتجلّي صفاته في منهج حياتنا. على سبيل المثال، وكما ورد في هذه الآية القرآنية: [**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**] (القرآن الكريم: سورة الزّمر (39)، الآية :62)، فإن اسم الله «الخالق» يعني أن الله (سبحانه وتعالى) هو خالقنا وخالق كل شيء في الكون، فهو الذي أَوجد الأَشياء جميعها بعد أَن لم تكن موجودة. وعلاوة على ذلك، وبناءً على الآية القرآنية: [**اللَّهُ الصَّمَدُ (2)**] (القرآن الكريم: سورة الإخلاص (112)، الآية: 2)، فإن اسم الله «الصّمد» يعني أنه هو الذي يُصمد إليه في الحوائج كلِّها وهو الغنيّ عن العالمين، فهو الذي يَحتاج إليه كلّ أحد، وهو مستغنٍ عن كلِّ أحد. وإضافة إلى ذلك، ووفقًا للقرآن الكريم في قوله تعالى: [**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)**] (القرآن الكريم: سورة الشّعراء (26)، الآيات: 77–80)، يجب أن نشكر الله ونحمده لأنه سبحانه وتعالى يرشدنا في هذه الحياة الدنيا من خلال التمسك بالقرآن الكريم والسَّيْر على منهج النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن الله (سبحانه وتعالى) هو الذي يُنْعِم على جميع الكائنات الحية من عظيم فضله وواسع عطائه، فخزائن الله لا تَنْفَد أبدًا، ويتضمن ذلك النِّعَم المادية جميعها؛ مثل: المال والطعام والماء والهواء والمأوى والحماية. وإلى جانب قدرة الله على تلبية احتياجاتنا الفسيولوجية، فإنه يوفر لنا أيضًا السُّبُل

لتلبية احتياجاتنا النفسية؛ فعلى سبيل المثال، يُعتبر حب الوالدين لأبنائهم من أعظم الغرائز التي خلقها الله في قلوب البشر ليُغْدِقوا عاطفة الحب على أبنائهم. فضلًا عن ذلك، فإننا ننعم بمتعة رؤية الزهور الخلابة، ومرافقة الحيوانات الألفية، وتناول كل ما لذّ وطاب من الأطعمة والمشروبات والخضراوات والفواكه ذات النكهات والأشكال والألوان المختلفة، بينما الأمر الوحيد الذي يطلبه الله في المقابل هو شكره على هذه النعم بإثبات محبّتنا له والإحسان إلى كل مخلوقاته.

[**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**] (القرآن الكريم: سورة الحديد (57)، الآية: 4).

إنَّ أصدق مظاهر العقيدة في الإسلام تتجلى في أن نحيا حياتنا ونحن نستشعر وجود الله (سبحانه وتعالى) معنا دائمًا وأبدًا بأسمائه الحُسنى؛ فما فعلنا من عمل؛ فالله «بَصِيرٌ» بنا، وما صدر عنا من قول؛ فهو «سَّمِيعٌ» علينا، وما من خاطرة مرت بنا؛ إلا والله «عَلِيْمٌ» بها، وكما أشار القرآن الكريم في معرض آياته: [**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)**] (القرآن الكريم: سورة الزلزلة (99)، الآيتان: 7–8)، فإن استشعار وجود الله يغرس الورع في نفوس المؤمنين، ويُعِينهم على الانصراف عن سيِّئ الأعمال؛ لأن الله هو «الْحسِيبُ». وختامًا، وكما ورد في الآية الكريمة: [**مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**] (القرآن الكريم: سورة الكهف (18)، الآية: 26)؛ علينا أن نُفرِد العبادة لله وحده فهو «ولي» المؤمنين.

ومن ثمَّ، فإن معرفتنا بمعاني أسماء الله الحُسنى تُفسِح لنا متسعًا لنكون من الشاكرين لله على جُل ما وهبنا إياه حتى نحيا في رغد من العيش، وأن نثق به ونتوكل عليه إذا ما كنَّا بحاجة إلى المساعدة في حل مشكلاتنا اليومية؛ وبذلك نتمكن من أداء واجباتنا الإلهية حبًّا وحمدًا لله. وفي النهاية، أريد أن أذكر قول النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2].

الجدول الأول: أسماء الله الحُسنى [3]

الرَّحْمَنُ	السَّمِيعُ	الْحَقُّ	الْبَاطِنُ
الرَّحِيمُ	الْبَصِيرُ	الْوَكِيلُ	الْوَالِي
الْمَلِكُ	الْحَكَمُ	الْقَوِيُّ	الْمُتَعَالِي
الْقُدُّوسُ	الْعَدْلُ	الْمَتِينُ	الْبَرُّ
السَّلاَمُ	اللَّطِيفُ	الْوَلِيُّ	التَّوَابُ
الْمُؤْمِنُ	الْخَبِيرُ	الْحَمِيدُ	الْمُنْتَقِمُ
الْمُهَيْمِنُ	الْحَلِيمُ	الْمُحْصِي	العَفُوُّ
الْعَزِيزُ	الْعَظِيمُ	الْمُبْدِئُ	الرَّؤُوفُ
الْجَبَّارُ	الْغَفُورُ	الْمُعِيدُ	مَالِكُ الْمُلْكِ
الْمُتَكَبِّرُ	الشَّكُورُ	الْمُحْيِي	ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ
الْخَالِقُ	الْعَلِيُّ	الْمُمِيتُ	الْمُقْسِطُ
الْبَارِئُ	الْكَبِيرُ	الْحَيُّ	الْجَامِعُ
الْمُصَوِّرُ	الْحَفِيظُ	الْقَيُّومُ	الْغَنِيُّ
الْغَفَّارُ	المُقِيتُ	الْوَاجِدُ	الْمُغْنِي
الْقَهَّارُ	الْحسِيبُ	الْمَاجِدُ	الْمَانِعُ
الْوَهَّابُ	الْجَلِيلُ	الْواحِدُ	الضَّارَّ

الرَّزَّاقُ	الْكَرِيمُ	الأَحَدُ	النَّافِعُ
الْفَتَّاحُ	الرَّقِيبُ	الصَّمَدُ	النُّورُ
اَلْعَلِيْمُ	الْمُجِيبُ	الْقَادِرُ	الْهَادِي
الْقَابِضُ	الْوَاسِعُ	الْمُقْتَدِرُ	الْبَدِيعُ
الْبَاسِطُ	الْحَكِيمُ	الْمُقَدِّمُ	الْبَاقِي
الْخَافِضُ	الْوَدُودُ	الْمُؤَخِّرُ	الْوَارِثُ
الرَّافِعُ	الْمَجِيدُ	الأَوَّلُ	الرَّشِيدُ
الْمُعِزُّ	الْبَاعِثُ	الْآخِرُ	الصَّبُورُ
الْمُذِلُّ	الشَّهِيدُ	الظَّاهِرُ	

الصّدقة: العلم الإلهيّ

[فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ]

(القرآن الكريم: سورة المؤمنون (23)، الآية: 16).

عند وصولي إلى دولة اليابان في شهر نوفمبر من عام 1994، علمتُ أنّ الشعب الياباني يحتفل بكل عام جديد بوصفه بداية جديدة للحياة، حيث يقوم اليابانيون بتنظيف منازلهم وشراء الهدايا الثمينة لتجديد أواصر العلاقات بينهم، كما تصبح الأضرحة والمعابد مزدحمة خلال تلك الاحتفالات. وفي الأول من يناير عام 1995، اغتنمتُ هذه الفرصة لزيارة أحد أضرحة مدينة إيكيدا التي كنت أقطن فيها، حيث عمَّت رائحة البخور أرجاء المكان، وقد انتابني الفضول فأخذت أراقب أشخاصًا يدقون جرسًا كبيرًا بالحبل واحدًا تلو الآخر. وبعد انتهائهم من هذا الطقس الديني، انحنى جميعهم وصفقوا بأيديهم مرتَين. وبينما كنت ألتقط صورًا حول الضريح، دعاني كاهن للدخول لزيارة المكان. وأثناء سيرنا بخطى وئيدة بين الغرف، أوضح لي الكاهن تاريخ الضريح، وبعد مرور حوالي ساعة، اصطحبني الكاهن إلى الباب الخارجي ثم انحنى قائلًا: «(Shitsureishimashita)؛ أي: (آسف، لقد أزعجتُكَ)». لقد شعرت بالتواضع؛ لأنني في واقع الأمر مَن أزعجَه، لكنني في الوقت ذاته على عِلم بأنَّ الشعب الياباني يُظهِر الاحترام للآخرين عن طريق آداب الانحناء. فعلى سبيل المثال، تُعَدّ تحية الانحناء (Saikiri: سايكيري) هي الأكثر رسميةً وتستغرق الوقت الأطول، وعادةً ما تُستخدَم للتعبير عن الاحترام للأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية الرفيعة للغاية.

ومن خلال مروري بهذه التجربة الثّريّة حول إحدى الديانات اليابانية، جالت في خاطري تأملات منها: بما أن الله (سبحانه وتعالى) هو «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»، فيجدر بنا جميعًا الانحناء له تمجيدًا له وثناءً عليه، مع تسليمنا لأوامر الله كلها حبًّا وحمدًا. في الواقع، وإنْ من شيء، مثل الأشجار والحيوانات والنباتات، إلا وينحني ساجدًا لله (سبحانه وتعالى) مُسبحًا

بحمده؛ فجميع المخلوقات سلَّمت بتحقيق الغاية التي خُلِقَت من أجلها؛ لذا، فالكون مسلِّم بأكمله، إذ إنَّه ساجد طاعةً لله (سبحانه وتعالى)[4].

[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ]

(القرآن الكريم: سورة الأنبياء (21)، الآية: 33).

إذا ما تفكَّرنا في اسم الله «الْمُبْدِئُ»، فسنجد أن الله (سبحانه وتعالى) قد صمَّم الكون في هيئة نظام ديناميكي منظَّم، حيث تتحرك جميع عناصره في حركة مخطَّطة للغاية. فعلى سبيل المثال؛ نجد الأرض، وهي الكوكب الثالث بُعدًا عن الشمس، تُواصِل دورانها على مدار أربع وعشرين ساعة. وبحكم دورانها هذا، يتشكل لدينا النهار والليل في كوكب الأرض، حيث يسطع ضوء النهار في جزء الأرض المواجه للشمس، بينما يعم الظلام في الجزء الآخر من الأرض. وعادةً ما نستطيع تمييز التوقيت خلال اليوم عن طريق موضع الشمس في السماء. فمعظم البشر يسلكون الطّرق والطرق السريعة عند شروق الشمس للقيام بأنشطتهم الاجتماعية والمهنية اليومية، ثم يعودون إلى منازلهم عند غروب الشمس لقضاء وقت عائلي والاستراحة. وخلال دوران الأرض حول نفسها، تسلك الأرض مسارها حول الشمس في ثلاثمائة وخمسة وستين يومًا. كما ورد في الآيتين الكريمتين: **[إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ]** (القرآن الكريم: سورة التوبة (9)، الآية: 36)، وكذلك: **[هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ]** (القرآن الكريم: سورة يونس (10)، الآية: 5)، فثمة اثنا عشر شهرًا في السنة القمرية الواحدة، وبإمكاننا حساب الأيام والأسابيع والشهور والسنوات بحسب حجم الهلال والقمر.

[وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ]

(القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 191).

في اعتقادي أن الله (سبحانه وتعالى) خلق الكون ليكون بمثابة مدرسة عالمية للإنسانية للتفكر في الكون واستدراك العِبر وشُكر الله على جميع

نعمه. ومن أحد الأمثلة التي يضربها لنا الله (سبحانه وتعالى) هو تغير أحوال الطبيعة على مدار الفصول الأربعة؛ وذلك حتى نفقه الكثير من الدروس ونتذكر آلاء الله. والواقع أن تقلُّب أحوال الطقس خلال الفصول الأربعة يوضح كيف أن الله (سبحانه وتعالى) قد نسَّق دورات الأرض والقمر والشمس حتى تتغير حياتنا من خلال تباين المشاعر التي نَمُرّ بها، وذلك لتجنب الملل. لقد ارتبطت مدينة كيبيك في كندا بأفضل ذكرياتي عن تحقُّق هذا الانسجام الجميل بين التباين في أحوال الطقس وسلوك البشر وحالاتهم المزاجية.

ففي مطلع صيف عام 1991، لن أنسى أبدًا ذهابي إلى الحي القديم المعروف بكيبيك القديمة «Vieux Quebec»، وتجوُّلي في الطرقات الضيقة والمفعَمة بالحيوية التي تعج بالسكان المحليين والسائحين الذين يرتدون قمصانًا ملونة وسراويل قصيرة، فقد أضفت أشعة الشمس والطقس الدافئ على الجميع حالة مزاجية مبهجة، كما أصبحت الأجواء أكثر سعادةً بفضل الأحاديث المفعمة بالحياة التي دارت بين هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يتناولون المثلجات تحت أشعة الشمس، والمهرجين المبتسمين، ونغمات الموسيقى الإيقاعية. ما زلت أتذكر تلك الأمسيات حيث نُظِّم العديد من الفعاليات الموسيقية الدولية في حدائق مختلفة في المدينة، واستمرّ الكثير من الحضور في الغناء حتى بزوغ الفجر. لقد بدا لى الأمر أشبه بهدية من الله (سبحانه وتعالى) للاستجمام وقضاء وقت ترفيهي بعد انقضاء فصل الشتاء الطويل والقارس.

وبعد مرور هذا الصيف القصير البهيج المليء بالجمال والاسترخاء، حمل خريف عام 1991 لوحة ألوان أخرى، إلا أنَّه كان فصلًا أكثر برودة عن سابقه، كما هطلت الأمطار الخفيفة وبدأت أوراق الشجر الخضراء في الحدائق في مختلف أرجاء المدينة تتحول شيئًا فشيئًا إلى الألوان الأصفر، والبرتقالي، والبني. لقد كان من شأن هذا التغيُّر التدريجي خلال فصل الخريف أن يعلِّمنا أن أي تغيير في حياتنا يجب أن يجري تدريجيًّا. وخلال ذلك «الصيف

الهندي »، استمتع الكثيرون بأشعة الشمس والألوان الخريفية التي انتشرت في كل مكان، فما زلتُ أتذكر جلوسي لساعات داخل حدائق جامعة لافال وأنا أتأمل صفوف الأشجار متعددة الألوان. كما زرت أيضًا « Vieux Quebec » مع بعض الطلاب الدوليين للاستمتاع بالطقس الدافئ غير المعتاد في محيط الفندق الشهير تشاتو فرونتيناك « Château Frontenac »، ثم مشينا في شارع دو تريسور « Rue Du Trésor » الشهير، وهو زقاق ضيق مزدحم يعرض فيه الرسامون المحليون لوحاتهم على الجدران للبيع. وبحلول نهاية شهر أكتوبر، بدأت أشجار المدينة تفقد أوراقها رويدًا رويدًا، وكان بعض الأشخاص يجمعون تلك الأوراق بالقرب من منازلهم في أكياس برتقالية اللون ذكَّرتني باحتفال الهالوين. وبينما باتت حركة الحافلات هادئة، تفاجأتُ برؤية الناس وقد بدأ صبرهم ينفد مع مجيء أول عاصفة ثلجية في فصل الشتاء الطويل والقارس. لقد أدركت لاحقًا أن الشتاء في مدينة كيبيك ليس مجرد فصل من فصول العام، وإنما يشكِّل جزءًا من تراثهم الثقافي.

عندما بدأت الرياح الشمالية في الهبوب، شهدنا أول تساقط للثلوج، كما أصبحت الأيام أقصر وأكثر برودةً، لكنني كنت سعيدًا برؤية السماء زرقاء صافية في بعض الأحيان. وأسبوعًا تلو الآخر، صارت المدينة كلها بيضاء مغطاة بالثلوج، وكان بإمكاننا سماع ضجيج الشاحنات الّتي تزيل الثلوج من الشوارع الرئيسية في المدينة خلال الليالي وفي الصباحات المبكرة. كذلك عمَّني شعورٌ دافئٌ في شقتي الدافئة، حيث كنت أستمتع بشراب الشوكولاتة الساخنة أو الحساء الساخن أثناء مشاهدة بعض الأشخاص وهم يجرفون الثلج من ممراتهم الخاصة حتى يتمكنوا من قيادة سياراتهم إلى أماكن عملهم. وبحلول نهاية شهر نوفمبر، تحوَّل الحي القديم « Vieux Quebec » إلى قرية كريسماس حقيقية؛ فقد تزيَّنت الشوارع بأضواء أنوار الكريسماس الزاهية، كما كان ممتعًا حقًّا السير في الطرقات الضيقة المغطاة بالثلوج. لم يمكن في إمكاني تفويت فرصة شراء شراب أوراق القيقب من سوق الكريسماس، والاستماع إلى الموسيقيين المحليين في كل ركن من أركان البلدة

القديمة، ومشاهدة الأناس السعداء وهم يتزلجون في محيط فندق تشاتو فرونتيناك. أذكر أنَّه بعد انقضاء عطلة الكريسماس ذهبتُ إلى جامعة «لافال» ذات يوم كان عاصفًا برياح شمالية حيث تلوَّنت السماء بلون أزرق ساحر. وفي طريقي إلى محطة الحافلات، التقيتُ بعدد قليل من الأشخاص كانوا متدثرين كليًّا بملابس دافئة، فيما بلغت درجة الحرارة في ذلك اليوم سالب **50** درجة مئوية مع عامل برودة الرياح، ولقد شعرت أن وجهي يحترق. وبينما كنت أهرول سريعًا لتجنب التجمد، خطر في بالي أن الجحيم لا يقتصر على النار فحسب، بل يتعلق أيضًا بدرجات الحرارة شديدة البرودة؛ لذا، تعلمتُ خلال ذلك الشتاء الطويل القارس أن الصبر هو أنجع علاج أثناء وقت الشدائد.

فبعد برودة الشتاء، يحل الدفء وتأتي المنحة المتمثلة في فصل الربيع. وبالفعل، عند انتهاء فصل الشتاء الطويل، بدأت الثلوج في الذوبان نتيجةَ ارتفاع درجات الحرارة، وأعلن الربيع عن مجيئه في أجزاء عدة من المدينة حيث كان في إمكاننا رؤية العشب الأخضر مرة أخرى. وأخذت الورود الزاهية في الظهور في أماكن متعددة من المدينة، في حين كانت بعض السناجيب تلعب في الحدائق المحيطة بجامعة لافال. لقد دفعني هذا إلى أن أتساءل كيف ستبدو الجنّة؟! لقد كان من المدهش أيضًا رؤية الأشخاص وهم يستقلون الدراجات، ويقومون بأنشطة رياضية أخرى في درجات حرارة ما زالت مقاربة لدرجة التجمد.

[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ]

(القرآن الكريم: سورة فصلت (**41**)، الآية: **53**).

واستنادًا إلى هذه الآية القرآنية، يحاول العلماء من جميع أنحاء الكوكب إيجاد بعض القوانين العالمية مثل نصوص القوانين التي تشرح أو تتنبأ بمجموعة من الظواهر الطبيعية في الكون. وفي هذا الشأن، يحث الله (سبحانه وتعالى) المسلمين على رصد الكون ودراسته بهدف إيجاد بعض الدلائل على أسمائه الحُسنى. ولهذا السبب، يتطلب العديد من آيات

القرآن الكريم من المسلمين دراسة الطبيعة، وقد فُسِّر هذا على أنه تشجيع على البحث العلمي، فوفقًا للدكتور شمشير علي، هناك حوالي 750 آية في القرآن الكريم تتطرق إلى الظواهر الطبيعية[5]. وعلاوة على ذلك، فإنني أعد هذه الآية القرآنية: [وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] (القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 85)، بمثابة مصدر إلهام لاكتساب معارف جديدة. وبالنسبة لبعض الكتّاب المسلمين، تنبع دراسة العلوم من علم التوحيد[6]. وبذلك يمكن تفسير علم التوحيد بوصفه العلم الإلهي الوحيد فحسبُ الذي يحكم الكون بأكمله. ومن هذا المنظور، يتمثل الهدف من جهودي المبذولة (الاجتهاد) خلال هذا الكتاب في البحث عن الآيات القرآنية التي في إمكانها أن ترشدني إلى العلم الإلهي. ومن هذا المنطلق، أرشدني الاستماع إلى محاضرات فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي إلى آيتَين من القرآن الكريم، يَرِد ذكرهما أدناه.

القانون الإلهي الأول للصدقات:

[وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ]

(القرآن الكريم: سورة الرحمن (55)، الآية: 7).

فيما يتعلق بهذه الآية القرآنية الأولى، فإن الله «الْمُصَوِّرَ» (سبحانه وتعالى) خلق الأرض كرويةً، كما تعمل الشمس على تسخين المناطق الاستوائية أكثر من المناطق القطبية. ونتيجة لذلك، توجد بعض المناطق في الكوكب تتمتع بوفرة من الطاقة، بينما تعاني بعض المناطق الأخرى من نقص في الطاقة. ويُعَدّ هذا التوزيع غير المتكافئ للإشعاع الشمسي مسؤولًا عن اختلال توازن الطاقة في أرجاء الكوكب بأكمله. وطبقًا لهذه الآية القرآنية الأولى، يمكن للمرء أن يدرك أن الله (سبحانه وتعالى) قد فرض بعض القوانين الإلهية بغية تحقيق التوازن على وجه البسيطة. ولما كان من أسماء الله الحُسنى اسمَا «الْحَكَم» و«الْحَكِيم»، فإنَّ هذا التوازن يتحقق من خلال دفع المادة والطاقة للانتقال من الأماكن مركزة الطاقة (E_{High}) على سطح الأرض إلى المناطق مخففة الطاقة (E_{low}) على سطح الأرض.

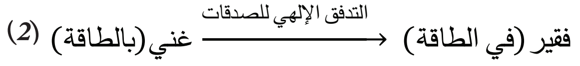
ويُعرِّف الفيزيائيون هذه الوصية الإلهية باسم «القانون الثاني للديناميكا الحرارية». في الواقع، ينص هذا القانون على أنه لا يمكن أن تنتقل الحرارة إلا من درجات الحرارة الأعلى إلى درجات الحرارة المنخفضة، ولا يمكن أن تتدفق السوائل إلا من الضغط الأعلى إلى الضغط الأقل، كما أن الأمطار تسقط من السماء إلى الأرض. ونظرًا لأنّ هذا القانون مرتبط بالتدفقات في الطبيعة، فسيَجري تعريف ذلك الجانب من القانون الثاني للديناميكا الحرارية في هذا الكتاب باعتباره القانون العالمي الأول للأنظمة الديناميكية، والذي يمكن كتابته ببساطة على النحو التالي:

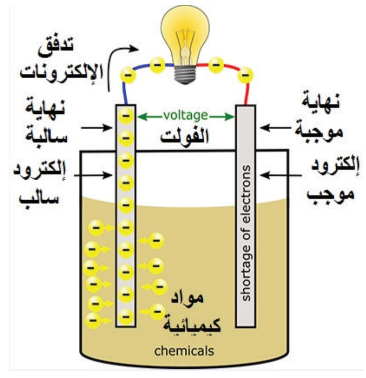
$$E_{High}\ (\text{مركز}) \xrightarrow{\text{إزاحة}} E_{low}\ (\text{مخفف}) \qquad (1)$$

[تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ]

(القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 44).

وعلاوة على ذلك، واستنادًا إلى هذه الآية القرآنية، وبالنظر إلى الطاقة باعتبارها ثراءً، فإن التدفقات الديناميكية في كوكب الأرض تنتقل من منطقة غنية (مركزة) بالطاقة، إلى منطقة فقيرة (مخففة) في الطاقة. ويتبين لي من خلال نظرتي الروحانية إلى هذه الظواهر الفيزيائية أن الله (سبحانه وتعالى) «الْمُقْسِط» قد أنشأ توازنًا في الكون؛ حيث فرض وجود أماكن غنية بالطاقة عن طريق الشمس؛ لتشارك تلك الأماكن جزءًا من ثرائها مع مناطق الأرض الفقيرة في الطاقة. وبناءً على هذا التفسير الروحاني للحركات في الطبيعة، يُعرَّف القانون العالمي الأول للأنظمة الديناميكية في هذا الكتاب بأنه القانون الإلهيّ الأول للصدقات الذي فرضه الله على الكون. ومن ثَمَّ، وتماشيًا مع الآية القرآنية السابعة من سورة الرحمن (55) موضع الدراسة أعلاه، فإن كل مكان في الكون غني بالطاقة يسبِّح لله (سبحانه وتعالى) من خلال مشاركته جزءًا من ثرائه (بالطاقة) مع الأماكن الأفقر في الطاقة بهدف احترام التوازن الذي أقامه وفرضه الله (سبحانه وتعالى) على الأرض. ونتيجةً لذلك، تصبح المعادلة (1) للأنظمة الديناميكية:





الشكل التوضيحي (1): البطّارية الكهربائيّة[7]

كما هو موضح في الشكل التوضيحي (1)، فمن الأمثلة النموذجية للقانون الإلهي الأول للصّدقات أنَّ الإلكترود السالب للبطارية الكهربائية (غني بالإلكترونات) يتم حثه على إعطاء بعض الإلكترونات للإلكترود الموجب (فقير في الإلكترونات). وفي هذه الحالة، يُعرف التفسير العلمي للقانون الإلهي الأول للصدقات باسم القوة الدافعة الكهربائية (Emf)، الّتي تُعرف بأنها الخاصية التي تمكّن أي «مصدر طاقة» من تحريك الإلكترونات داخل دائرة كهربائية.

القانون الإلهي الثاني للصدقات:

[وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ]

(القرآن الكريم: سورة الحجر (15)، الآية: 21).

ثانيًا، نستدل من هذه الآية الكريمة، أنَّه ما من شيء يتنقل في الكون إلا وله مقدار معلوم أوجبه «الْمُقْتَدِر» (سبحانه وتعالى). وبناءً عليه، فإنَّ التدفقات الطبيعية تمتثل لله (سبحانه وتعالى) من خلال انتقالها الدائم من أماكن «الطاقة العالية» إلى أماكن «الطاقة المنخفضة». وبالإضافة إلى ذلك، فإن كميات التدفقات الطبيعية وتوقيتها مقُدرة أيضًا وفق الوصية الإلهية الثانية. فعلى سبيل المثال، وحسبما ذُكر في الآية الكريمة **[وَأَنزَلْنَا**

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ] (القرآن الكريم: سورة المؤمنون (23)، الآية: 18)، فإنَّ كمية الأمطار أو الثلوج المتساقطة (الماء) وتوقيتها قد قدَّرها الله تقديرًا. وفي عام 1984، باشرت جهودي الرامية إلى إيجاد تعبير علمي يشير إلى هذه الآية الكريمة الثانية: (سورة الحجر (15)، الآية: 21) عند عودتي إلى الجزائر قادمًا من الولايات المتحدة الأمريكية بهدف التدريس في المعهد الجزائري للبترول. وخلال التدريب الصناعي في تلك السنة الدراسية، ذهب الطلاب إلى مصنع للمواد الكيميائية يقع في الجزء الغربي من الجزائر. ولشرح السلوك الشائع بين التدفقات المختلفة في مصنع المواد الكيميائية للطلاب؛ قيل لهم أنَّ جميع الأنظمة الديناميكية ينطبق عليها المفهوم العلمي ذاته. إذ إنَّ تلك الأنظمة الديناميكية تتولد نتيجة «القوة الدافعة»، وتتباطأ وتيرتها نتيجة «المقاومة» الناجمة عن وجود مادة صلبة أو سائلة داخل المنطقة.

وبغرض تشكيل صورة لهذا المفهوم الهندسي في أذهانهم؛ فقد وُصف الدافع لهم باعتباره «القوة الدافعة» كي نذهب إلى الجامعة يوميًا بهدف الدراسة لتحقيق النجاح في الحياة. غير أنَّ الأمطار الغزيرة قد تمثِّل «المقاومة»؛ والتي تتسبب في تباطؤ مسيرتنا أثناء القيادة إلى الكلية. أما وقد كان الدافع للدراسة قويًا للغاية، فقد نسلك الطريق حتى في ظل الأحوال الجوية السيئة للغاية. من ناحية أخرى، إذا كان الفصل الدراسي باعثًا على الملل، فسنمكث في المنزل حتى خلال يوم طقسه رائع. ومع تقديم تلك المقارنة للطلاب، اتضح لهم أنَّ التدفق يتناسب حسابيًا مع قوته الدافعة، بينما يتناسب عكسيًا مع مقاومته، كما تم تقديم المعادلة العامة النوعية للأنظمة الديناميكية كما يلي:

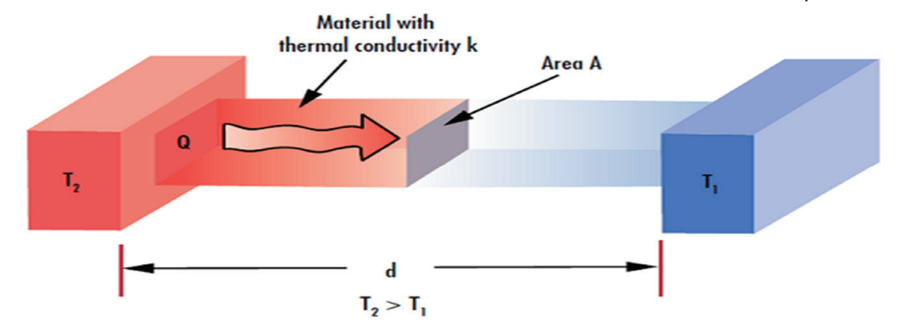
$$\text{التدفق} \propto \frac{\text{القوة الدافعة}}{\text{المقاومة}} \quad (3)$$

وحتى يتسنى لنا الربط بين هذه المعادلة العامة والآية الكريمة (سورة الحجر (15)، الآية: 21)، علينا أن ننظر إلى الفارق في الطاقة بين منطقة

ما في الأرض عالية الطاقة (E_{High}) ومنطقة أخرى منخفضة الطاقة (E_{low}) باعتباره «القوة الدافعة» لأي عملية طبيعية، وأنَّ السائل أو المادة الصلبة بين هاتين المنطقتين تمثِّل المقاومة «R» للتدفق قيد النظر. واستنادًا إلى المعادلة (3)، يمكن تمثيل تدفق المادة أو الطاقة المنقولة بشكلٍ نوعي من خلال المعادلة التالية:

$$\text{التدفق} \left(\frac{\text{كمية المادة أو الطاقة}}{\text{الزمن}}\right) \propto \frac{(E_{High} - E_{low})}{R} \quad (4)$$

ويرد تعريف المعادلة (4) في هذا الكتاب بوصفها النهج النوعي للقانون العالمي الثاني للأنظمة الديناميكية التي تتعامل مع كمية المادة أو الطاقة المراد تحويلها. وبالتوافق مع القانون الإلهي الأول للصدقات، تمثِّل المعادلة (4) كذلك القانون الإلهي الثاني للصدقات الذي يحدد كمية المادة أو الطاقة المنقولة والتي قد قدَّرها الله تقديرًا. وبالاطلاع على الشكل التوضيحي (2) باتجاه السهم من منظورٍ روحي، يمكن للمرء ملاحظة أنَّ الحرارة (Q) تتدفق من الجزء الساخن (T_2) من المادة و «الغني» بالطاقة الحرارية إلى الجزء البارد (T_1) من المادة و «الفقير» من الطاقة الحرارية.



الشكل التوضيحي (2): نقل الحرارة عن طريق التوصيل.[8]

بالإضافة إلى ذلك، وكما هو مبين في الشكل التوضيحي (2)، يشكِّل «تدرَّج الثراء» بالحرارة (Q) الفارق في درجة الحرارة (T_2-T_1) بين جزأي المادة. فإذا كانت (k) هي الموصلية الحرارية للمادة، بالتالي فإنَّ (k/1) هي المقاومة لتدفق الحرارة (Q). وبناءً على القانون الإلهي الثاني للأنظمة الديناميكية، يمكن

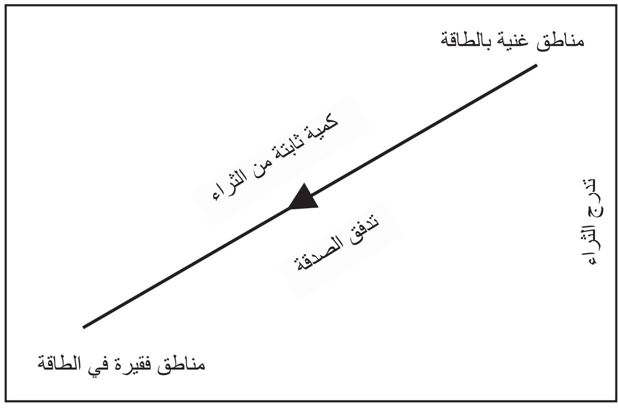
التعبير عن كمية الثراء (Q) المُقدمة في هيئة صدقة بشكلٍ نوعي من خلال المعادلة (5):

$$\text{تدفق الثراء}\left(\frac{Q}{t}\right) \propto \frac{(T_2-T_1)\text{"القوة الدافعة"}}{\left(\frac{1}{k}\right)\text{"المقاومة"}} \quad (5)$$

ومن ثَمَّ، فإن الدرس الثاني الذي يمكن استخلاصه عند التأمل في الطبيعة هو أنَّ الله (سبحانه وتعالى) فرض على كل كيان غني بالطاقة أن يتشارك قسمًا محددًا من هذه الثروة مع الأجزاء الفقيرة في الطاقة بغية إقامة العدل وتحقيق الانسجام بينها. وكما هو موضح في المعادلة (6)؛ فإنَّ «قانون فورييه: Fourier's Law» (للتوصيل الحراري) هو التعبير الكمي لكمية الحرارة (Q) المحددة وفقًا للقانون الإلهي الثاني للصدقات:

$$\text{تدفق الحرارة}\left(\frac{Q}{t}\right) = \frac{(T_2-T_1)}{t/kA} \quad (6)$$

ومن بين الأمثلة الأخرى المطروحة لأغراض التوضيح العلمي لقانون الإلهي الثاني الصّدقات يأتي «قانون فيك: Fick's Law» في مجال الهندسة الكيميائية؛ والذي يقيس تدفق المادة المنقولة من خلال انتقال الكتلة بالانتشار، وكذلك «قانون أوم: Ohm's Law» في مجال الهندسة الكهربائية؛ والذي يرتبط بتدفق الإلكترونات.



الشكل التوضيحي (3): قوانين العلم الإلهي

وختامًا، أود أن أذكر أن الآية الكريمة الأولى (سورة الرحمن (55)، الآية:

7) قد علمتني أنَّه من أجل تحقيق التوازن والانسجام في الطبيعة، فإنَّ الله (سبحانه وتعالى) يحث المناطق الغنية بالطاقة على منح قسمًا من الثراء للمناطق الفقيرة في الطاقة؛ وهو ما يوصف في هذا الكتاب بالقانون الإلهي الأول للصدقات من جملة قوانين العلم الإلهيّ. بينما تعلمت من الآية الكريمة الثانية (سورة الحجر (15)، الآية: 21)، والتي توصف بأنها القانون الإلهي الثاني للصدقات من جملة قوانين العلم الإلهيّ، أنَّ الله (سبحانه وتعالى) أوجب مقدارًا من المادة أو الطاقة ليتدفق من منطقة غنية ما إلى منطقة فقيرة أخرى «الشكل التوضيحي (3)»

علامات الصدقات والربيع في الطبيعة

[إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ]

(القرآن الكريم: سورة الحديد (57)، الآية: 18).

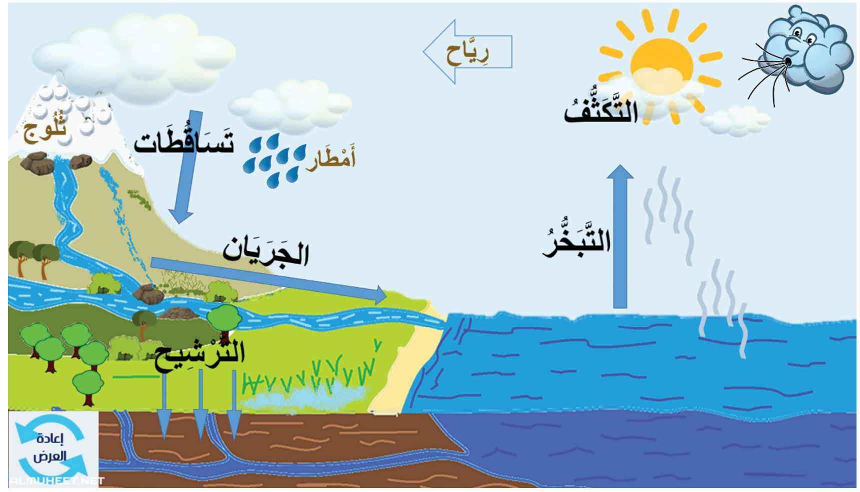
في عام 1991، قضيت عطلة الكريسماس في باي سان بول؛ وهي بلدة صغيرة في مقاطعة كيبيك بكندا. وفي صبيحة ذلك اليوم، ذهبت في نزهة مع صديقي فرانسوا عبر طرقات القرية الضيقة المزدانة بالمعارض الفنية، وقد وجَّه إلينا بعض الأشخاص ممن التقينا بهم خلال مسيرنا تمنياتهم بقضاء «عيد ميلاد مجيد». وحينما اعتلينا قمة أحد التلال، لاحت في الأفق الكنيسة ذات اللون البني والرمادي المتمركزة في قلب القرية جلية المعالم. وبينما كنت أحدق في الدخان المتطاير من مداخن العديد من المنازل، أخذت الثلوج الكثيفة تتساقط شيئًا فشيئًا. فجأة، غمرني شعور بالسعادة لأنني تخيلت القرية الهادئة وكأنها شخص مسرور يقدم هدية بسيطة من قلب القرية الدافئ (دخان المداخن) إلى الله (سبحانه وتعالى)، ويتلقى من «الشَّكُور» المزيد في المقابل (الثلوج الكثيفة). وفي طريق عودتنا لتناول وجبة الغداء مع والدي صديقي، تذكرت هذه الآية الكريمة **[مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]** (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 245).

[وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)]

(القرآن الكريم: سورة النبأ (78)، الآيات: من 13 إلى 16).

يتسم كوكب الأرض بطابعه الفريد من نوعه بين غيره من الأجرام السماوية المعروفة نظرًا لوجود الماء فيه. في حقيقة الأمر، يغطي الماء ثلاثة أرباع سطح الكوكب، كما تشكّل نسبة الماء ما بين 60% إلى 70% من عالم الكائنات الحية. وعلى المستوى الجزئي، يتكون جسم الإنسان من أكثر من نسبة 70% من الماء[9]. أما الجانب الأكثر مدعاة للدهشة بشأن العلم الإلهي

هو أنَّ الله (سبحانه وتعالى) قد خلق الماء وأكسبه بعض الخصائص التي تسمح له بالتجدد وإعادة التوزيع من خلال عمليتي التبخر والتكثيف حتى يصبح متجددًا إلى ما لا نهاية. ويقدَّم هذا الكتاب وصفًا للمراحل المختلفة لدورة الماء «الشكل التوضيحي (4)» نظرًا لأنها تمثِّل الدليل الشاهد على كون الماء مصدر حياة متجدد وغير محدود. كذلك يمكننا أن نستشف بعضًا من أسماء الله الحسنى، ونتبين كيف أنَّ التدفقات الطبيعية في دورة الماء تمتثل للقوانين الإلهية للصدقات خلال فصول السنة الأربعة.



الشكل التوضيحي (4): دورة الماء في الطبيعة[10].

تبخر الماء باستخدام الإشعاع الشمسي

[وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا]

(القرآن الكريم: سورة النبأ (78)، الآية: 13).

فيما يستمتع البشر بأشعة الشمس خلال موسم الصيف، تبدأ طاقة الشمس المكثفة أيضًا في تبخير الماء بشكل أساسي من البحار والمحيطات على نحو غير ملحوظ. هذه العملية الطبيعية غير المرئية هي تفسير لأحد أسماء الله الحسنى؛ وهو «اللطيف» خالقنا وخالق كل شيء. ففي هذه المرحلة الأولى من دورة الماء، يتحقق القانون الإلهي الأول للصدقات، نظرًا لأن الضغط الجزئي لبخار الماء عند مستوى سطح البحر ($P_{w,\,sea}$) له أعلى

قيمة وينخفض ببطء إلى أدنى قيمة له في السماء($P_{w,\ sky}$) . وفي إطار القانون الإلهي الثاني للصدقات، يُعتبر تدرج الثراء ($P_{w,\ sky} - P_{w,\ sea}$) بين مستوى سطح البحر والسماء بمثابة «القوة الدافعة» لعملية تبخر الماء. بالإضافة إلى ذلك، يُجرى تنظيم تدفق تبخر الماء (WE) من خلال مقاومة نقل الكتلة ($1/k_{air}$)، وذلك بالاستعانة بمعامل نقل المادة (k_{air}) في الهواء الجوي. وبناءً عليه، يتم التعبير عن تدفق الماء المتبخر بشكلٍ نوعي من خلال المعادلة التالية:

$$\text{تدفق التبخر}\ (WE) \propto \frac{(P_{w,sea} - P_{w,sky})}{\left(\frac{1}{k_{air}}\right)} \quad (7)$$

بغية حساب التدفق (WE)، يستخدم علماء الأرصاد الجوية المائية معادلة (بنمان: Penman). وتستند هذه المعادلة إلى قياسات متوسط درجة حرارة البحر وسرعة الرياح وضغط الهواء والإشعاع الشمسي.

نقل بخار الماء باستخدام طاقة الرياح

[وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ]

(القرآن الكريم: سورة فاطر (35)، الآية: 9).

حينما تغدو الشوارع مفعمة بالحيوية تارة أخرى مع عودة الأطفال مبتهجين إلى الفصول الدراسية، تشرع رياح الخريف في نقل السُحُب من فوق المحيطات إلى فوق اليابسة. ويمكن النظر إلى قوة الرياح باعتبارها إحدى العلامات الصغرى الدالة على أحد أسماء الله الحسنى؛ وهو «الْقَوِيّ» خالقنا وخالق كل شيء. أما المرحلة الثانية من دورة الماء هذه فتمتثل للقانون الإلهي الأول للصدقات؛ حيث سيكون للهواء فوق المحيطات قيمة ضغط جوي أعلى (P_{High}) من قيمة الضغط الجوي للهواء (P_{low}) فوق اليابسة. وخلال تلك الفترة الزمنية، وبهدف استخدام القانون الإلهي الثاني للصدقات، يمكن النظر إلى تدرج الثراء ($P_{High} - P_{low}$) بمثابة القوة الدافعة لعملية نقل السُحُب عن طريق الرياح. كما يتم تنظيم تدفق نقل الماء في السُحُب عن طريق الاحتكاك (R_{air}) الناتج عن الهواء الجوي. وبناءً عليه،

وعلى غرار عملية التبخر، يمكن التعبير عن تدفق الماء المنقول عن طريق الرياح (WT) بشكلٍ نوعي من خلال المعادلة التالية:

$$\text{تدفق النقل } (WT) \propto \frac{(P_{High} - P_{low})}{R_{air}} \quad (8)$$

عادةً ما يتم قياس التدفق (WT) المنقول باستخدام معادلة التأفق (advection equation)؛ حيث تشكِّل قوة الرياح وزاويتها اثنين من أهم البارامترات المؤثرة في العملية.

هطول الأمطار نتيجة تأثير الجاذبية الأرضية:

[وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا]

(القرآن الكريم: سورة الروم (30)، الآية: 24).

عندما يرتدي المارة الملابس الثقيلة لتدفئتهم وتغدو السُحُب داكنة مع برودة الشتاء، تشهد بعض البقاع على سطح الأرض سقوطًا للأمطار والثلوج. وكما ورد في الآية الكريمة: [**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**] (القرآن الكريم: سورة الأنبياء (21)، الآية: 30)؛ فقد جعل الله (سبحانه وتعالى) الحياة ممكنة على سطح الأرض مع وجود الماء المتكون من الأمطار والثلوج. وفي تقديري، هذا الأمر يدفعنا أن نكون من الشاكرين لخالقنا بالتفكر في أحد أسمائه الحسنى؛ وهو «الرَّزَّاق». وتخضع المرحلة الأخيرة من دورة الماء للقانون الإلهي الأول للصدقات؛ حيث يكون للماء الموجود في السُحُب الكثيفة أعلى قيمة لطاقة الوضع (PE_{High})، بينما تكون قيمة طاقة الوضع الأدنى للماء عند مستوى سطح الأرض (PE_{low}). أما عن القانون الإلهي الثاني للصدقات، فيشكِّل تدرج الثراء ($PE_{High} - PE_{low}$)، الناتج عن جاذبية الأرض، القوة الدافعة لعملية هطول الماء. وجدير بالذكر أنَّ «الرَّحِيم» قد خلق الهواء وزوده بمقاومة (R_{air}) تتحكم في سرعة هطول قطرات الماء. وبدون هذه المقاومة، يمكن أن تتسبب الأمطار في تدمير الغطاء النباتي، وقتل البشر والحيوانات على حدٍ سواء. وأخيرًا، يمكن وصف تدفق هطول الماء (الأمطار أو الثلوج) بشكلٍ نوعي من خلال المعادلة التالية:

$$(9) \quad \text{تدفق الهطول } (WF) \propto \frac{(PE_{High-} PE_{low})}{R_{air}}$$

عادةً ما يتم حساب هذه الكمية (WF) من خلال شدة سقوط الأمطار التي توضح كمية الأمطار المتساقطة على مدى فترة من الزمن، والتي يتم قياسها بالمليمترات في الساعة (ملم / ساعة).

[إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ]

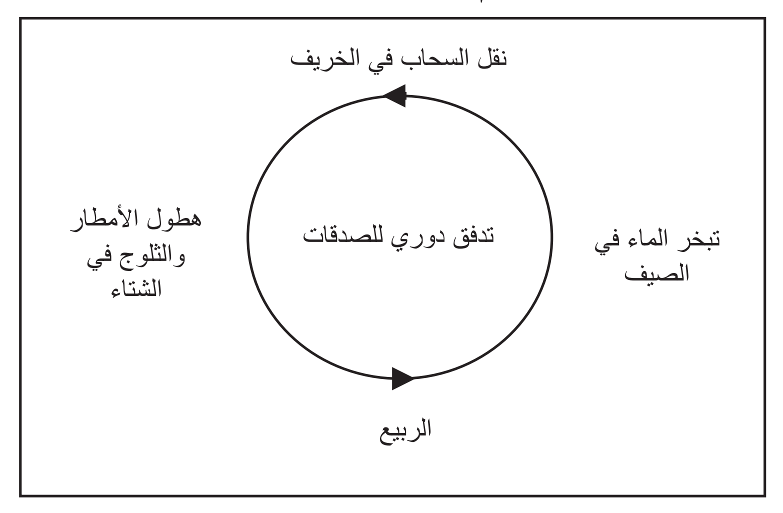
(القرآن الكريم: سورة الجاثية (45)، الآية: 3).

بناءً على هذه الآية الكريمة، وبالتفكر في الأسهم المبينة في الشكل التوضيحي (4) من منظور روحي، يمكن القول بأن اتجاه التدفقات في دورات الماء يسري من منطقة **غنية** بالطاقة إلى منطقة **فقيرة** في الطاقة. وهذه إحدى العلامات الجلية على امتثال الطبيعة للقانون الإلهي الأول للصدقات؛ كما هو موضح في الآية الكريمة الأولى (سورة الرحمن (55)، الآية: 7). وأما فيما يتعلق بالقانون الإلهي الثاني للصّدقات، وكما هو موضح في الآية القرآنية (سورة الحجر (15)، الآية: 21) الوارد ذكرها في الفصل السابق، فيكمن الغرض الإلهي من المحيطات في استخدام الطاقة الشمسية من أجل توليد تدفق محدد بعينه من بخار الماء (WE) قد قدَّره الله تقديرًا، ليكون بمثابة صدقة للسماء الجافة فوق البحار والمحيطات. عقب هذه المرحلة، تصبح السماء فوق المحيطات غنية بما فيه الكفاية من الماء. وحينها يصبح واجبها الإلهي هو الاستعانة بقوة الرياح من أجل تقديم قسط محدد بعينه من ذلك التدفق للماء (WT) (في السُحُب)، والّذي حدده الله (سبحانه وتعالى) مسبقًا، ليكون بمثابة صدقة للسماء الجافة فوق اليابسة. وأخيرًا، عندما تصبح السماء فوق اليابسة غنية أيضًا بما يكفي من الماء (السُحُب الكثيفة)، يصبح الغرض الإلهي منها هو استخدام جاذبية الأرض من أجل تقديم جزء من الماء في صورة أمطار أو ثلوج (WF) قد قدره الله تقديرًا، ليكون بمثابة صدقة إلى الأرض الجافة. وختامًا، لمَّا كانت الطبيعة قد خُلقت لتكون مدرسة كونية للإنسانية، وكما ذكر في الآيتين الكريمتين

(سورة الرحمن (55) الآية: 7، وسورة الحجر (15)، الآية: 21)، فإن جميع التدفقات الطبيعية تطبق القانونين الإلهيين للصدقات الذين فرضهما الله (سبحانه وتعالى) على الكون.

[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ].

(القرآن الكريم: سورة الزمر (39)، الآية: 21).



الشكل التوضيحي (5): التدفق الدوري للصدقات والربيع

والواقع أن الطبيعة تغدو سعيدة خلال فصل الربيع البهيج، بعد مرور فصل الصيف الحار وفصل الخريف العاصف والشتاء البارد «الشكل التوضيحي (5)». وبفضل اثنين من أسماء الله الحسنى «الْكَرِيم» و «اَلْمُقِيت»، يصير الربيع موسمًا للرخاء وتجدد الحياة؛ حيث تغرد الطيور وتزهر الورود. ومثلما يبعث الله (سبحانه وتعالى) الموتى إلى الحياة، تصبح الأرض مزينة بالزهور وقد دبت فيها الحياة من جديد. وبحلول نهاية هذا الربيع الفردوسي، تبدو الطبيعة وكأنها فقدت التوازن لتبدأ دورة الصدقات مرة أخرى. وقد أرشدني منظوري الروحي إلى أن فصل الربيع هو مكافأة من الله (سبحانه وتعالى) لجميع مخلوقاته إثر التدفق الدوري للصدقات.

روح الإسلام والطّريق الأبديّ للصّدقات

[إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (6)]

(القرآن الكريم: سورة الواقعة (56)، الآيات: من 1 إلى 6).

خلال الساعات الأولى من يوم 17 يناير عام 1995، أيقظتني ضجة قوية مفاجئة، وقد كانت جدران غرفتي تهتز لبعض الوقت. وعندما توقفت الهزة، غادرت الشقة سريعًا، حيث وجدت جميع جيراني في الشارع. وقد علمت أن زلزالًا قويًا قد ضرب مدينة كوبي. ثم ذهبت إلى العمل ذلك الصباح، وقد كانت الشوارع خاوية ومركز الأبحاث مغلقًا. خلال الأسابيع التي أعقبت الزلزال، تغيَّب بعض الزملاء عن العمل نتيجة الأضرار التي لحقت ببعض الطرق الرئيسية والطرق السريعة المحيطة بمدينة كوبي. وأثناء هذه الفترة، نصحني جاري الياباني بشراء الكثير من الطعام لأن الكثير من سكان مدينة كوبي كانوا يتسوقون في بلدتنا. وبعد مضي نحو شهرين، رأيت العديد من الحافلات تقل عمالًا من مدينة إيكيدا للمساعدة في رفع أنقاض المباني والمنازل المنهارة والمتضررة بشدة.

خلال فترة الربيع في ذلك العام 1995، دعاني صديقي (هاروتو) لزيارة مدينة كوبي كي أرى حجم الضرر الذي أحدثه الزلزال. في الصباح الباكر استقلينا القطار من محطة أوساكا. ونظرًا لأن خطوط السكك الحديدية كانت متشابكة ومنعطفة حول مدينة كوبي، فقد توقف القطار في قرية صغيرة تقع على بعد أميال قليلة من مدينة كوبي. ومن هناك، استكملنا رحلتنا بالحافلة إلى ضواحي المدينة. لقد كانت مشاهد الدمار في كل مكان؛ وبدت كوبي كمدينة تعرضت للقصف في أحد الأفلام الحربية. فقد دُمرت أحياءً عديدة بالكامل، كما لاحظت أن المنازل اليابانية التقليدية ذات الأسقف الثقيلة لم تنجُ من الزلزال. كما انهار الطريق السريع الرئيسي في المدينة، وقد ارتفعت العديد من البنايات عن سطح الأرض. كما رأيت

أشخاصًا يبيعون الطعام والماء في الشوارع، وبعض الزوار يلتقطون صور للدمار خفية. وعندما وصلت إلى مسجد مدينة كوبي، أدركت أن المسجد والكنيسة القريبة لم يتأثرا بالزلزال. وبعد أداء الصلاة، عدنا لاستقلال الحافلة والعودة إلى مدينة إيكيدا. وفي طريقنا، توقفت أمام أنقاض أحد المنازل حيث لاحظت كتابًا صغيرًا تحت الأنقاض. وعندما فتحته، وجدته يضم العديد من الابتسامات والصور الملونة. وفجأة، اغرورقت عيناي بالدموع حينما أدركت أنَّ الطفل الذي كان يقرأ هذا الكتاب قد مات بطريقة مفاجئة ومروعة. لم يبرح هذا الشعور الحزين ذهني لبضعة أسابيع، وقد شاركت زملائي في العمل تلك الذكرى الحزينة عن هذا الحدث. وعندما استمعت إلى نشرات الأخبار في التلفاز، علمت أن حوالي 6500 شخص لقوا حتفهم في الزلزال. وفي حقيقة الأمر، كما أنَّ الله (سبحانه وتعالى) هو «الْمُحْيِي»، فهو أيضًا «اَلْمُمِيت» كما ورد في الآية الكريمة [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**] (القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 102). بما أنَّ هذا الموت الذي لا مفر منه يمكن أن يطرق بابنا في أي لحظة من حياتنا، فإنَّ السؤال الأكثر أهمية هو «كيف نعد أنفسنا للحياة الأبدية في الجنّة؟»

[إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)]

(القرآن الكريم: سورة المعارج (70)، الآيات: من 19 إلى 25).

ثَمَّة تناقض بين الحقيقة القائلة بأنَّ الطبيعة خُلقت لطاعة القوانين الإلهية للصدقات التي فرضها الله (سبحانه وتعالى) وأنَّ مكافأتها تتمثل في مجيء فصل الربيع الرائع، بينما يولد البشر ولديهم القدرة على التفكير ويتمتعون بحرية الوفاء أو عدم الوفاء بالواجب الإلهي لأداء الصدقات من خلال أنشطتهم الاجتماعية أو المهنية. فما أفهمه أنَّ الجزء الأول من هذه الآية الكريمة يتعلق بالبشر الذين يتبعون غرائزهم الطبيعية (الطبع)،

بينما يسعون لإنجاز الأنشطة التي تعود بالنفع عليهم فحسب. وعلى النقيض من ذلك، يتعلق الجزء الثاني من هذه الآية الكريمة بأولئك الذين يجاهدون هذا النزعة الأنانية بالتحلي بالصبر؛ إذ يدركون أنَّهم قد خُلقوا بالالتزام الإلهي (التكليف) بعبادة «الْخَالِق» من خلال أداء أركان الإسلام الخمسة (العبادة)، وأداء واجبات الصدقات من خلال مساعدة الآخرين (المعاملات).

[كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ]

(القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 110).

وكوني مسلمًا، فهذا يعني أنني أنتمي إلى أُمّتي (أي المجتمع المسلم)؛ فالمسلمون في جميع أنحاء العالم أشبه بعائلة واحدة تضم خلفيات وجماعات عرقية متنوعة، ويتمثل المقصد من حياة المسلمين في عبادة الله وحده لا شريك له. فالدين الإسلامي هو شريعة متكاملة للحياة تؤيد بقوة مفهوم رفاهية الإنسان، وتحث كل مسلم على التصرف وفقًا للعواقب. كما أن أنبل الرسائل التي تحملها المُثُل الأخلاقية العليا هي احترام الحريات المدنية لكل فرد في المجتمع مع تحديد الواجبات التي يتعين أن يؤديها كل فرد في جميع مناحي الحياة من أجل إقامة وتعزيز بيئة يسودها السلام والسكينة. ولأجل ذلك، يشير الله (سبحانه وتعالى) إلى الأُمّة بوصفها خير مجتمع؛ إذ أنها تأمر بفعل الصواب (وقد سماه الله معروفاً ، لأن الفطر السليمة تعرفه) وتنهي عن ارتكاب الخطأ (المنكر)؛ وذلك أحد أنبل المسؤوليات الإسلامية. أحد أكبر أسباب هلاك الأمم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، وبالتالي، حينما يبتعد المسلمون عن الإيمان ، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفقدون خيريتهم ، هم أمة كأية أمة خلقها الله عز وجل. لذلك إذا فشلت الأُمّة في تبني هذه المسؤولية، فستشيع الآثام والمفاسد، وسيحق علينا عقاب الله (سبحانه وتعالى).

وحتى يحول الله بيننا وبين ارتكاب ما حرَّمه علينا؛ من إراقة الدماء وارتكاب الزنا وشرب الخمر والتظالم بين البشر واستهلاك ثروتنا بغير الحق، فقد منَّ الله علينا بالعقل لإرشادنا حتى نلتمس آياته من حولنا، إلى جانب الفطرة السليمة التي تمكننا من التغلب على الأنانية ومساعدة الآخرين. وفضلًا عن ذلك، فقد أورد الله بيان صفته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بذكره تسعة وتسعين اسمًا من أسمائه الحُسنى؛ وذلك حتى نعتنق منهج التوحيد.

[يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ]

(القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 269).

العقل المتدبر: يمكن النظر إلى العقل باعتباره سلطة تفكير ومنطق غير مرئية. ولقد شدد القرآن الكريم على أهمية استخدام العقل لبلوغ الحكمة في جميع مناحي حياتنا بما في ذلك اكتساب الوعي بوجود الله (سبحانه وتعالى)، والتفريق بين الخير والشر، والتمييز بين الصدق والكذب، ومعرفة الفارق بين الحرية والتسلُّط، واتباع الفضيلة والانصراف عن مواطن الفسوق، وأخيرًا إيجاد الهدف من الحياة. بينما الحكمة هي مصطلح إيجابي ورد ذكره مرارًا وتكرارًا في القرآن الكريم بوصفه أحد صفات الصالحين، وكما توضح هذه الآية الكريمة، يمنح الله «الْحَكِيم» الحكمة لمن يشاء من البشر. وكما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»[11]، ويمكننا بلوغ الحكمة إذا أولينا المعرفة حق قدرها، وأصبحنا منفتحين على التعلم بالاستماع إلى الدروس الإسلامية ومرحبين بالتقويم والتهذيب. وبالنظر إلى تجارب سفري، يمكنني القول بأنَّه يمكننا اكتساب الحكمة أيضًا من خلال التعلم من الثقافات والأديان الأخرى والتي من شأنها أن تعيننا على فهم الإسلام من منظورات مختلفة. وثمة طريقة أخرى لبلوغ الحكمة؛ والتي تتمثل في التأمل في الطبيعة وجميع مخلوقات الله، وتدبر العظات والعبر بقلب متفكر.

[فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا]

(القرآن الكريم: سورة الروم (30)، الآية: 30).

الفطرة السليمة: يولد البشر وبداخلهم ميل فطري نحو التوحيد (وحدانية الله)، والذي يمكن إيجازه في صورة الفطرة، إلى جانب الرحمة والذكاء والإحسان وجميع الصفات الأخرى التي تجسد مفهوم الإنسانية. في الواقع الإنسان في أصل فطرته ينكر المنكر من دون تعليم، من دون توجيه، من دون دراسة، و يعرف المعروف. وبالإشارة إلى هذا المفهوم، تظهر نتائج البحوث الحديثة في علم الأحياء البشري أننا قد نولد لنصبح كائنات اجتماعية ولدينا الرغبة في تقديم المساعدة[12]. وبناءً عليه، يمكن تأويل الفطرة على أنها شيفرة الحمض النووي للقرآن الكريم المطبوعة داخل كل إنسان منذ ولادته. كما يمكن النظر للفطرة باعتبارها ذلك الصوت الداخلي للملاك الذي يرشد كل مولود جديد وطفل صغير كي يحيا سعيدًا؛ وذلك من خلال أداء الواجبات الإلهية التي خلقوا لتحقيقها، وحتى يحيوا خالدين في الجنة بعد مغادرة الروح للجسد. ولسوء الحظ، عندما يتقدم الطفل بالعمر، يبدأ صوت ثان في الظهور للتنافس مع ذلك الصوت الأول سليم الطوية، ويصبح الراشدون أكثر انتقائية بشأن مساعدة الآخرين، ويميلون إلى أن يصبحوا أكثر أنانية. كما أنهم ينجذبون بشكل أكبر إلى الراحة المادية حيث الاستمتاع بالحياة، وتصبح المنافسة بين البشر أكثر شيوعًا، وتنتشر الجرائم والحروب على مستوى العالم. وفيما يتصل بهذا الصوت الثاني، يقول الله تعالى في كتابه الحكيم: **[وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي]** (القرآن الكريم: سورة إبراهيم (14)، الآية: 22) . وبناءً على هذه الآية الكريمة، فإنَّ اتباع صوت الشيطان الخفي هو ما يدفعنا إلى تجاهل أداء واجباتنا الإلهية في بعض الأحيان. وقد أنذرنا الله لكي يهدنا إلى سواء السبيل، حيث يقول الله في كتابه العزيز: **[لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ]** (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 286).

[إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا]

(القرآن الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 48).

التوحيد: يعني عدم وجود شيء من قبيل المصادفة، وأن مسارات حياتنا لا تسير إلى ما هي عليه بمحض الصدفة. كما أن التوحيد هو الضمانة بأن حياتنا بأكملها تعتمد على علاقتنا مع الله (سبحانه وتعالى) وحده. وأنَّ العقل المتدبر والفطرة السليمة هما الجناحان اللذان يوصلان إلى إدراك حقيقة التوحيد.

بالإضافة إلى ذلك، وكما ورد في هذه الآية القرآنية: **[لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]** (القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 164)، فقد بعث الله خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) لإتمام مهمة جميع من أرسلهم الله من الأنبياء السابقين لهداية البشر والدعوة إلى توحيد الله.

الله (سبحانه وتعالى) هو ٱلْعَزِيز وٱلْمُقِيت وخالقُ الكون لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء. فعندما سأل الصحابة - رضي الله عنهم - رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الله (سبحانه وتعالى)؛ جاء الجواب مباشرةً من الله عندما أنزل سورة قرآنية قصيرة؛ تُعتبر عن جوهر الوحدة أو شعار التوحيد، وهي سورة الإخلاص: **[قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)]** (القرآن الكريم: سورة الأخلاص (112)، الآيات: من 1 إلى 4). وبغرض مساعدتنا على اعتناق منهج التوحيد وطاعة الله في جميع أنشطتنا الاجتماعية والمهنية، فقد ذكر الله (سبحانه وتعالى) أسمائه الحُسنى التّسعة والتّسعين مرارًا وتكرارًا في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية. وفضلًا عن ذلك، خلقنا الله (سبحانه وتعالى) بخمس حواس؛ لكي نكتشف العالم من حولنا ونستدل على آياته.

وفي واقع الأمر، فإن الكون يشبه القرآن الصامت الذي ينطق بآيات الله الدالة على أسمائه الحسنى. فعلى سبيل المثال؛ معرفة أنَّ هناك نجوم تبعد مليارات السنين الضوئية عن الأرض هي بلا شك آية من آيات تمجيد الله والتي تتجلى في أحد أسمائه الحُسنى؛ وهو «الْعَظِيمُ». بينما رؤية أم تحمل طفلها بين أحضانها، حيث ارتسمت على وجهها ابتسامة رقيقة هي آية من آيات محبة الله (سبحانه وتعالى) لجميع البشر والتي تتجلى في أحد أسمائه الحُسنى؛ وهو «ٱلْوَدُود». في حين أن الاستماع إلى صوت ارتطام أمواج البحر بالمنحدرات الصخرية سيذكرنا بأحد أسماء الله الحُسنى؛ وهو «الْقَوِيّ». وقد يكون جمال الطبيعة أثناء فصل الربيع هو آية من الآيات العظيمة عن الجنة والتي تتجلى في أحد أسمائه الحُسنى؛ وهو «الْمَجِيدُ». وختامًا، يمكن أن يكون فصل الشتاء البارد أو فصل الصيف الحار من علامات الخشية من عذاب النار والتي تتجلى في أحد أسمائه الحُسنى؛ وهو «الْحسِيب». لذلك، يجب على المسلمين السعي لمعرفة معاني أسماء الله الحُسنى مع التخلق بصفاتها حتى يستشعروا وجود الله على الدوام.

[وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا]

(القرآن الكريم: سورة الفرقان (25)، الآية: 58).

وبالتالي، فإنَّ أولئك الذين يفهمون ويعتنقون منهج التوحيد في حياتهم سيترسخ لديهم إيمان قوي بأنَّ الله وحده بيده ملكوت كل شيء وراء حدود عالمنا المادي المرئي. ولذلك، فهم يعتمدون فقط على الله (سبحانه وتعالى) ويثقون به (التوكل). ومع ذلك، فإنَّ التوكل على الله يعني أنَّه يجب علينا طاعة جميع القوانين الإلهية التي فرضها الله على الكون (الاسباب). وفي ضوء هذا الموضوع، فقد روى أنس بن مالك (رضي الله عنه): سأل رجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ناقته فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟» قَالَ «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[13]. فعلى سبيل المثال؛ إذا شعرنا بالمرض، فإننا نحتاج أولًا إلى زيارة أفضل طبيب ممكن، ثم الثقة بأنَّ

الله (سبحانه وتعالى) هو الشافي المعافي، حيث يُمكننا التصدّق مع التضرع لله بأن يمنح الطبيب المعرفة والحكمة اللازمة لإيجاد أفضل علاج لنا.

[إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]

(القرآن الكريم: سورة النّحل (16)، الآية: 90).

بالتوافق مع الآيتين الكريمتين (سورة الرحمن (55)، الآية: 7، وسورة الحجر (15)، الآية: 21) الوارد ذكرهما في الفصل السابق المتعلق بالعلم الإلهي في الطبيعة، وفي هذه الآية القرآنية من (سورة النّحل (16) الآية: 90)، يأمر الله بالعدل بين الناس كما يدعو عباده إلى الاستعانة بالصبر عند أداء واجباتهم الإلهية. ومن هذا المنطلق، يصبح من الأهمية بمكان ملاحظة أنَّ الكلمة العربية «الصدقة» مشتقة من كلمة «تصديق»؛ والتي تعني الموافقة على عقيدتنا الإسلامية. لذلك، وكما ورد في هذه الآية القرآنية [.. **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ** ..] (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 272)، فقد توصلتُ إلى أن فهم القانون الإلهي الأول للصدقات يتوافق مع غاية المسلمين لإرضاء الله وحده (سبحانه وتعالى) من خلال تعاملاتنا مع البشر والحيوانات والنباتات. ولتحقيق الغرض ذاته من الآية القرآنية (القرآن الكريم: سورة الرحمن (55)، الآية: 7) بالنسبة إلى الكون، فإن هدف البشرية من القانون الإلهي الأول للصدقات، المذكور في الآية القرآنية (سورة النحل (16)، الآية: 90)، يكمن في ترسيخ مناخ يسوده العدل بين **الأغنياء والفقراء** وتحقيق التكافؤ بين أفراد مجتمعاتنا. وعلاوة على ذلك، وعلى غرار القانون الإلهي الثاني للصّدقات (القرآن الكريم: سورة الحجر (15)، الآية: 21) بالنسبة إلى الكون، يرتبط الجزء الثاني من الآية القرآنية (سورة النحل (16)، الآية: 90) بأداء واجباتنا الإلهية في تقديم يد العون من خلال مجاهدة النفس ومحاربة الأنانية. ومع ذلك، إذا كان التدفق الدوري للصدقات في الطبيعة ينتهي كل عام مع مجيء فصل الربيع، فإنَّ جميع أعمالنا المتعلقة بمساعدة البشر

والحيوانات والنباتات من خلال أنشطتنا الاجتماعية أو المهنية ستُضاف بوصفها أعمالًا صالحة إلى أرواحنا الأبدية. ولذلك، ستُضاف أعمالنا الصالحة إلى الطريق الأبدي للصّدقات.

على سبيل المثال، تُعد الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وأحد شعائر العبادة. ونلاحظ أنَّ الكلمة العربية «الصلاة» مشتقة من كلمة (صِلة)؛ مما يعني أنَّها تخلق صِلة روحيّة بين العبد وربه. وبحسب فهمي فإنَّ القانون الإلهي الأول في الصلاة يتمثل في التواضع والإخلاص والتركيز (الخشوع) أثناء أداء الصلاة، وذلك لابتغاء مرضاة الله، حيث تساعدنا هذه الحالة الذهنية على الوصول لرحمة الله ونيل كرمه. وفيما يتعلق بالقانون الإلهيّ الثاني للصّدقات، فإنَّ أوقات صلواتنا ستُضاف إلى الطريق الأبدي للصدقات بوصفها أعمالًا صالحة. بالإضافة إلى ذلك، وكما ورد في هذه الآية القرآنية: [**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**] (القرآن الكريم: سورة التوبة (9)، الآية: 103)، فإنَّ الله (سبحانه وتعالى) يأمرنا أن نعقد النية في سبيل ابتغاء مرضاته من خلال تقاسم جزء من الأموال التي وهبها الله لنا لمن هم أقل ثراءً بغرض تطهير أنفسنا في الطريق الأبدي للصدقات. وفي واقع الأمر، فإنَّ الكلمة العربية «الزكاة» تعني تطهير النفس وتزكيتها. ومن منطلق هذا التعريف، فإنَّ القانون الإلهيّ الأول لصدقات الأموال (زكاة المال) هو النية التي يعقدها كل شخص **غني** لمساعدة **الفقير** راجيًا ابتغاء مرضاة الله وتطهير نفسه وتزكيتها في الطريق الأبدي للصدقات. أما فيما يتعلق بالقانون الإلهي الثاني للصّدقات، فيُحدد مبلغ الزكاة التي يُتصدق بها سنويًا بنسبة 2.5% من إجمالي مدخرات المسلم وثروتها التي تتجاوز الحد الأدنى (بلغت النصاب)[14].

وفضلًا عن وجوب هذا التكليف، فإنَّ الصدقة تفتح أمامنا الباب لتطهير النفس وتزكيتها وإضافة الأعمال الصالحة إلى الطريق الأبدي للصدقات من خلال التصدق بكل ما في وسعنا كما ورد في آيات الذكر الحكيم: [**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ**

وَابْنِ السَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ] (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 215). وتعني هذه الآية القرآنية أن عقد النيّة في سبيل ابتغاء مرضاة الله وتطهير النفس وتزكيتها في الطريق الأبدي للصدقات لا يقتصر فحسب على مساعدة المحتاجين من خلال منحهم المال أو الطعام للبقاء على قيد الحياة، بل يتضمن ذلك جميع أوجه الخير الأخرى مثل تقديم المساعدة وبذل الوقت لذوي القربى والجيران والأصدقاء، وكذلك تقديم يد العون وتفريج الكرب عن المكروبين أو إدخال السرور على قلوبهم أو المساهمة في تحسين وضعهم بشكل أو بآخر. على سبيل المثال، فالأعمال الصالحة تتضمن الإحسان إلى الآخرين والتعامل بالرحمة والعطف والمحبة مع ذوي القربى والجيران وزملاء العمل؛ كما ذُكر في الآية القرآنية: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًاۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا] (القرآن الكريم: سورة النّساء (4)، الآية: 36).

وعلاوة على ذلك، يعلمنا النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) أنَّ الطريق الأبدي للصّدقات له الكثير من الأبواب، كما قال رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ - قَالَ - تَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ - قَالَ - وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[15].

وفي ملاحظة أخيرة، كما ذُكر في هذه الآية القرآنية [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] (القرآن الكريم: سورة الأنبياء (21)، الآية: 107)، فقد أرسل الله النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) رحمة بالبشرية جمعاء كهدية إلهية حتى قيام الساعة. ولتحقيق رسالة المحبة والرحمة، أكد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة التعامل بالمحبة والتعاطف والإحسان تجاه

البشرية جمعاء، كما قال رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاه»[16]. وفي حديث نبوي شريف آخر قال رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[17].

[وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم]

(القرآن الكريم: سورة الأنعام (6)، الآية: 38).

فضلًا عن ذلك، واستنادًا إلى هذه الآية القرآنية، فإنَّ معاملة الحيوانات بالعطف والرحمة ليست سوى واحدة من مسؤوليات كل مسلم. ولفهم هذا الأمر أخبرنا النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) بهذه القصة: «بَيْنَما رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ، فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[18].

[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً]

(القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 30).

وتعلمنا هذه الآية القرآنية أن علاقة البشرية ومسؤوليتها تجاه الطبيعة يُنظر إليها على أنَّها أيضًا علاقة الوصي. فعلى سبيل المثال، كما ورد في هذه الآية القرآنية: [**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**] (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 60)، لا يجوز للمسلم أن يسرف في استهلاكه سواء في استخدام الطعام أو الملابس أو الموارد الطبيعية. بالإضافة إلى ذلك، يوصينا النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن نزرع النباتات، كما قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[19].

الطّريق الأبديّ للصّدقات في أماكن العمل

[وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)]

(القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآيتان: 23-24).

عقب انتهائي من الدراسات العليا الجامعية في معهد ستيفنز للتكنولوجيا في هوبوكين (نيوجيرسي، الولايات المتحدة الأمريكية)، عدتُ إلى الجزائر في يناير عام 1984 للتدريس في المعهد الجزائري للبترول. وخلال السنة الدراسية الأولى أثناء عملي كمدرس بالمعهد، تقاسمتُ السكن في شقة مع زميل آخر. وبعد أدائي الخدمة العسكرية، قررت الكلية توزيع بعض الشقق السكنية على المدرسين بهدف تشجيعهم على البقاء في المعهد. وعندما دخلت إلى شقتي وجدتها صغيرة، وقد كنت قلقًا من أن تكون ضيقة للغاية إذا كان لدي أطفال. وخلال صيف عام 1987، ذهبت لزيارة جدتي في مسقط رأسي بني صاف؛ وهي مدينة ساحلية تقع في الجزء الغربي من الجزائر. وكعادتها، سعدت جدتي للغاية للترحيب بي في غرفتها الصغيرة، وقد استمتعنا بحديثنا عن بعض الحكايا والأمور الطريفة التي حدثت لي في مدينة نيويورك. أخبرتها أيضًا أن أول ما شعرت بالحزن عليه هو عدم سماع الأذان قبل الشعور بغياب والديّ وإخوتي وأخواتي. في تلك اللحظة سمعنا أذان المسجد، فذهبت جدتي إلى زاوية الغرفة لأداء الصلاة. وبعد الانتهاء من الصلاة، أصبحت مناقشتنا أكثر جدية، وأخبرتني جدتي أن الوقت قد حان لإيجاد زوجة لطيفة وتكوين عائلة. وعندما انتهزت هذه الفرصة لأشتكي من شقتي الضيقة بدت جدتي مهتمة بحديثي، ولكنها ذكّرتني بهذه الآية الكريمة: **[إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]** (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 153). حينها ابتسمتُ لأنني أدركتُ أنني كنت بحاجة إلى معرفة كيف يمكنني إيجاد متسع في قلبي حتى أجده في شقتي الصغيرة. وفي نهاية زيارتي، عندما قبّلت

جدتي لتوديعها، أمسكت يدي وتلت هذه الآية الكريمة ذات المغزى: [لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ] (القرآن الكريم: سورة إبراهيم (14)، الآية: 7). ومنذ وفاتها، وأنا أدعو الله «الرَّحِيم» أن يرزقها فسيح جناته.

[انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ]

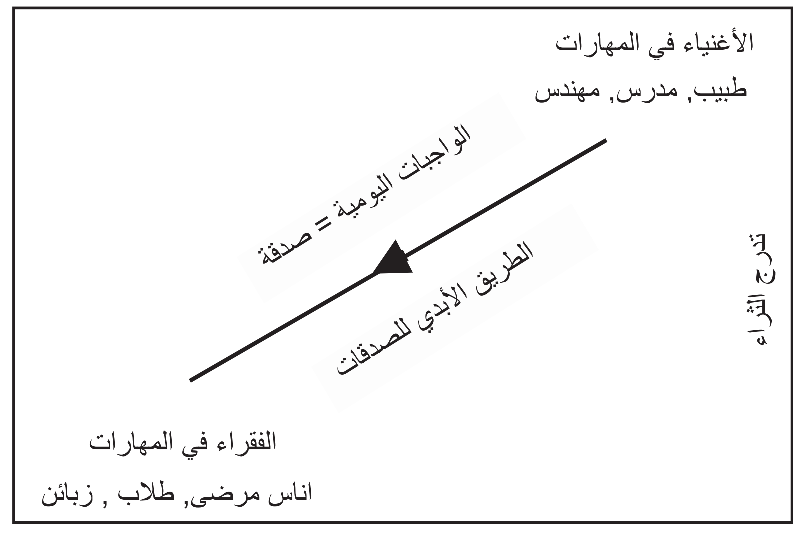
(القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 21).

ما أفهمه أنَّه تماشيًا مع الهيئة التي صوَّر بها الله (سبحانه وتعالى) الكون من مختلف «تدرجات الثراء»؛ بما في ذلك الطاقة والضغط ودرجة الحرارة والارتفاع وتركيزات المواد المختلفة، فقد خلق الله بداخلنا «تدرجًا للثروة»؛ على سبيل المثال الثروة المالية والعناصر المادية والصحة والمظهر والتحلي بالذكاء اللازم للتعلم والقدرة على إتقان مختلف المهارات. إذ يعلَم الْحَكِيم (سبحانه وتعالى) أنَّ هذا التدرج الفطري للقدرات والمهارات بين البشر ضروري حتى تتوافر أنواع شتى من الوظائف والمهن، وكي يتمكن البشر من مساعدة بعضهم البعض. فعلى سبيل المثال، هناك حاجة في المستشفيات إلى الجراحين والأطباء والمرضين الذين يتمتعون بمستويات مختلفة من المهارات والقدرات فيما يتعلق بعلاج المرضى، حيث أنهم يتشاركون معًا في وضع خطة شاملة أو كاملة لعلاج المريض. وجميعهم جزء لا يتجزأ من الكل، ويمكن تصوير تلك العلاقة في هيئة القضبان الشعاعية في عجلة الدراجة، فجميع الأجزاء لازمة ليتشكَّل الكل. وعلى نحو مماثل، يمثِّل الباحثون والخبراء والمهندسون والفنيون جميعًا عناصر بالغة الأهمية في مراكز البحوث؛ كلٌّ على أساس قدراته. وكذلك، فالأساتذة والمحاضرون لا غنى عنهم في الجامعات، بالإضافة إلى الحاجة إلى وجود المدرسين في المدارس الابتدائية والثانوية. وأخيرًا، ثمة حاجة أيضًا إلى العمال في قطاعات الصناعة للقيام بالأعمال البدنية اللازمة في بناء البُنى التحتية.

[وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَات لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ]

(القرآن الكريم: سورة الأنعام (6)، الآية: 165).

علاوة على ذلك، واستنادًا إلى هذه الآية الكريمة، من أجل الامتثال للقانون الإلهي الأول للصدقات، حث الإسلام المسلمين على استخدام قدراتهم الفطرية مع إخلاص النية لإرضاء الله وحده، وذلك من خلال مساعدة الآخرين وتزكية النفس أثناء مسيرهم في الطريق الأبدي للصدقات. ونتيجة لذلك، ستُحتسَب واجباتهم اليومية أعمالًا صالحة.



الشكل التوضيحي (6): **الطّريق الأبديّ للصّدقات في أماكن العمل**

على سبيل المثال، وكما هو مبين في الشكل التوضيحي (6)، فالواجب الإلهي للمهندس هو تقديم الخبرة لتكون بمثابة صدقة للمساعدة في حل المشكلات التقنية على النحو الصحيح. أما الواجب الإلهي للطبيب فيكمن في علاج المرضى على النحو المناسب، وتزويدهم بالتشخيص والعلاج الصحيحين، في حين أنَّ المسؤولية الإلهية التي تقع على عاتق المدرس هي نقل المعرفة وتمكين الطلاب من التعلم. وبشكل عام، ومن خلال تطبيق القانون الإلهي الأول للصدقات من أجل ابتغاء مرضاة الله (سبحانه وتعالى)، فإنَّ جميع أنشطتنا المهنية والاجتماعية اليومية أثناء التعامل

مع البشر والحيوانات والنباتات ستُحتسب لنا أعمالًا صالحة في الطريق الأبدي للصدقات.

وعلى نطاق أوسع، تُعد المؤسسات وحدات اجتماعية مكونة من البشر، بما في ذلك الهيكل الإداري الذي يحدد العلاقات بين مختلف الأنشطة والأعضاء، والذي يقسم ويسند الأدوار والمسؤوليات والصلاحيات للاضطلاع بالمهام المختلفة[20]. وفي أي مؤسسة، يتطلب كل مستوى من مستويات التسلسل الهرميّ مهارات تقنية ومهارات شخصية محددة لأداء الدور على نحو وافٍ، ويتم اختيار الأفراد بشكلٍ عام بناءً على هاتين السمتين: الجانب الأول هو المهارات التقنية التي تتكون من ثلاثة عناصر؛ وهي المعرفة والمهارات والقدرات. أما الجانب الآخر، فترتبط المهارات الشخصية بالتواصل والعمل الجماعي والقدرة على التكيف وحل المشكلات والإبداع وأخلاقيات العمل ومهارات التعامل مع الآخرين وإدارة الوقت. وتتضح أهمية المهارات الشخصية من واقع أنَّ نوعية التفاعلات بين الموظفين تؤثر في كفاءة سير العمل على مختلف مستويات المؤسسة.

من أجل تحقيق أقصى قدر من جودة التفاعل بين موظفي الشركة وكفاءة سير العمل، يتمثل الهدف من إدارة القوى العاملة (**WFM**) في تيسير عملية تصنيف جميع أعضاء التسلسل الهرميّ على نحو يتناسب مع مهاراتهم بغرض تخفيف حدة التوترات الداخلية والاستفادة من الإمكانات الكاملة للموظفين. ومن ناحية أخرى، في حال تصنيف الموظفين بشكل غير صحيح، فيمكن أن يشكل ذلك مصدرًا للتصادمات في التسلسل الهرميّ. وتوضح تريسي موكسون أنَّه «من الواضح أن الوقت قد حان حتى تعطي المؤسسات مضمونًا للعبارة القائلة بأنَّ «الأشخاص هم أهم الأصول التي نملكها» حيث أنهم يوفرون المهارات المناسبة في المكان المناسب والوقت المناسب!»[21].

[لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا]

(القرآن الكريم: سورة الأحزاب (33)، الآية: 21).

في إطار النهج الإسلامي لإدارة المؤسسات، تمثلت المهمة الأولى للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في بناء مسجد بالمدينة المنورة باعتباره أول مجلس مجتمعي للمسلمين، حيث كان بمثابة مركز سلطة للقيادة ومركز اجتماعي. ثم لاحقًا تركز واجب المسجد على ترسيخ رابطة الأخوة ونشر التعاون بين المؤمنين، وذلك مصداقاً لقوله (صلّى الله عليه وسلّم): «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[22]. لذا، وسعيًا لحلّ المشكلات الاقتصادية في المدينة المنوّرة، فقد اقترح النبي (صلّى الله عليه وسلّم) على المؤمنين من المدينة المنوّرة (الأنصار) أن يتقاسموا تجارتهم وأموالهم مع إخوانهم المؤمنين من (المهاجرين) الذين تركوا أموالهم عند هجرتهم من مكة. كما أسس رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) في المدينة المنوّرة دولة راسخة يسودها السلام والتضامن والتوافق بين مختلف الطوائف من المسلمين واليهود والنصارى والكفّار، وحتى جماعة المنافقين. فقد اشترطت «وثيقة المدينة المنورة» أنَّ جميع المواطنين ملزمون بواجب حماية المدينة، ومشاركون في الالتزام العام تجاه رعاية ومعاونة بعضهم البعض، وأن يتبعوا ما يصلح أمر الأُمّة، وأن يتجنّبوا ما يضر بمصلحتها[23].

لم تكن مكة المكرمة مركزًا للحج فحسب في حقبة ما قبل الإسلام وما بعد نزول الوحي الإلهي، بل كانت تُعرف أيضًا باعتبارها مركزًا للتجارة والأنشطة الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك، فقد تواجد العديد من رجال الأعمال الناجحين من بين صحابة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) من أمثال: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزّبير بن العوّام، وغيرهم الكثيرين. ومن شأن دراسة أسلوبهم في قطاع الأعمال التجارية أن يسلط الضوء على وصفات النجاح في تطوير تجارتهم، حيث استند أسلوبهم في

التجارة على أهمّ قيمتين للإسلام؛ وهما: العدل والإحسان [24]. وختامًا، فقد شدد القرآن الكريم على أهمية الإنصاف في الأعمال التجارية كما يقول الله سبحانه وتعالى: [**وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (86)**](القرآن الكريم: سورة هود (11)، الآيتان: 85 – 86).

[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا]

(القرآن الكريم: سورة الأنبياء (21)، الآية: 22).

أولًا، توضّح هذه الآية القرآنية أهميّة وحدة القيادة والاتجاه ومتطلباتهما؛ لذلك، ووفقًا للتقاليد الإسلامية، يقترح هذا الكتاب تطبيق القانونين الإلهيين للصدقات من أجل إدارة القوى العاملة في المؤسسات الإسلامية على النحو الأمثل. وفي بادئ الأمر، وعلى نحو مماثل لأنماط «التدفقات الطبيعية» في دورة الماء، فهناك أيضًا «سير العمل» و«التّفاعلات» بين الموظفين على جميع مستويات التسلسل الهرميّ. لذلك، ولكي يتسنى تطبيق قانون العلم الإلهيّ الأول للصّدقات، فثَمَّة حاجة إلى «تدرّج المهارات» في التسلسل الهرميّ، وذلك على غرار «تدرج الطّاقة» في الطبيعة. وتحقيقًا لهذا الغرض، يتعين على المديرين الذين يتولون مناصب إدارية عُليا أن يتمتعوا بمستوى أعلى من القدرات والخبرات في جميع المهارات اللازمة، بينما يتعين على الموظفين الذين هم في أدنى التسلسل الوظيفي أن يتمتعوا بمستوى أقل من القدرات والمهارات اللازمة لأداء المهام الوظيفية.

[وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا...]

(القرآن الكريم: سورة الزخرف (43)، الآية: 32).

ثانيًا، تصف هذه الآية القرآنية سلوك ورؤى الإدارة المعاصرة بالكامل، حيث تركز الآية الكريمة بصفة أساسية على وضع التسلسل الهرميّ المناسب وتقسيم المسؤوليات مع مراعاة القدرات الفردية. لذا، وبغية تحقيق التكافؤ بين جميع الموظفين، فإنه يتعين على الموظفين ذوي المهارات المتوسطة أن يتولوا المناصب المناسبة في التسلسل الهرميّ، وذلك حتى

يتمكنوا من تقديم مساعدة للموظفين الذين يشرفون عليهم عن طريق تقديم المشورة والتوجيهات اللازمة. وفي صدد هذا الموضوع، فقد أظهرت المؤلفات ذات الصلة أنَّ مساعدة الآخرين ليصبحوا ناجحين من شأنها تذليل العقبات، والتخلص من البيروقراطيّة المفرطة والمنازعات الشخصية بين الموظفين والشعور بعدم اليقين والثقافات المسيئة، وهذه الأمور بدورها تعيق تحقيق النجاح[25]. فضلًا عن ذلك، فقد كشفت دراسة مفادها أنه عندما يشارك الأشخاص في المساعدة التفاعلية (تقديم المساعدة عند الطلب)، فإنهم يتلقون مزيدًا من الامتنان. وفي المقابل، يدرك هؤلاء المساعدون أن لهم تأثير إيجابي أعمق، وهو ما يعزز شعورهم تجاه المزيد من التعاون في العمل خلال يوم عملهم التالي[26].

وجدير بالذكر أنَّه حسب هذا النموذج الإسلامي لإدارة القوى العاملة، تعتبر جميع المهارات الشخصية للموظفين مرتبطة بالقانون الإلهي الأول للصدقات. مما يعني أن عقد النيّة لابتغاء مرضاة الله (سبحانه وتعالى) هو السبب الوحيد لمساعدة الموظفين المُشرَف عليهم. وحسبما تُشير المؤلفات ذات الصلة، يمكن أن تكون مساعدة الموظفين على النحو الواجب نتيجة للنصائح التالية:

1. التبسم في وجه الآخرين اقتداءًا بالنّبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) الذي كان دائم التبسم وطلق الوجه. فطبقًا لما ورد في السيرة النبوية فقد كان النبي كثير التبسم في وجه الصحابة، وذلك بحسب ما روى عن عبد الله بن الحارث أنه قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»[27].
2. التعامل بحُسن الخلق والإحسان مع الآخرين في خضم التعاملات والنقاشات المهنية مصداقًا لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»[28].
3. شكر الله أثناء التعاملات الطيبة مع الآخرين، والتحلي بالصبر في أوقات الشدة والألم؛ كما قال النّبيّ محمّد (صلى الله عليه وسلم):

«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »[29].

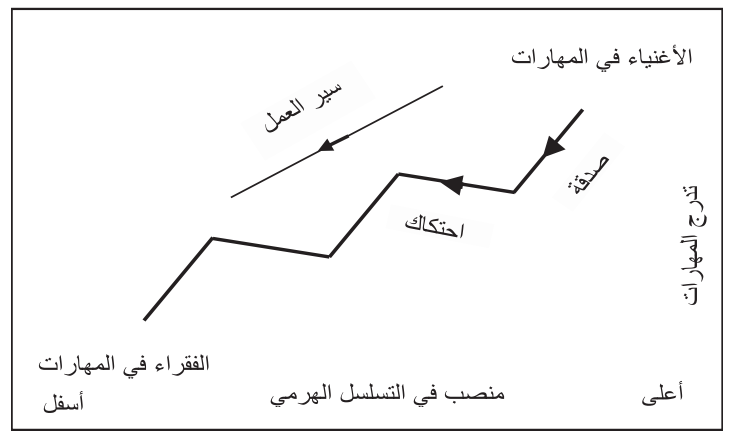
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]

(القرآن الكريم: سورة المائدة (5)، الآية: 35).

بالنظر من منظور إيجابي إلى الاختلاف في المناصب بين المدير (منصب أعلى) والمرؤوسين (منصب أقل) في التسلسل الهرميّ لأي مؤسسة، فإذا كان المدير يتمتع بخبرة أعلى (الأغنياء في المهارات) من الموظفين (الفقراء في المهارات) الذين يُشرَف عليهم؛ فحينها يمكن للمدير تقديم المساعدة إليهم، وسينتج عن ذلك تحقيق قيم موجبة لكفاءة سير العمل على هذا المستوى من المؤسسة:

$$\text{كفاءة سير العمل} \propto \frac{\left(\text{الفقراء في}_{\text{المهارات}} - \text{الأغنياء في}_{\text{المهارات}}\right)}{\text{منصب}_{\text{أقل}} - \text{منصب}_{\text{أعلى}}} > 0 \qquad (10)$$

فضلًا عن ذلك، إذا كان المدير يرغب في الوفاء بالقانون الإلهي الأول للصدقات عن طريق مساعدة أعضاء الفريق، فيتعين على المدير / المديرة تطهير النفس وتزكيتها نحو الطريق الأبدي للصدقات. وفيما يتعلق بالقانون الإلهي الثاني للصدقات، فإن سير العمل الذي يُنجز عن طريق مساعدة هذا المدير / هذه المديرة ستُحسب له / لها صدقة (الشكل التوضيحي 7).

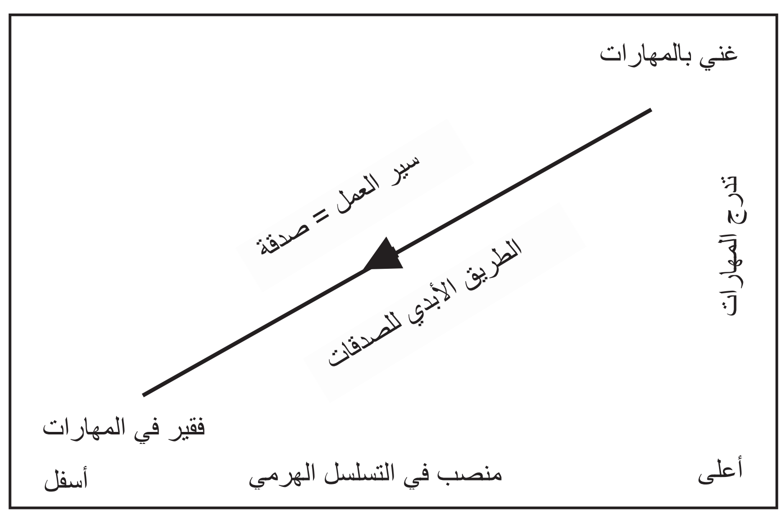


الشكل التوضيحي (7): تعيين بعض الموظفين في المنصب الخطأ

وبالرغم من ذلك، فإنَّ بعض الموظفين الذين يتقلدون مناصب ذات سلطة ومسؤوليات أكبر إذا أرادوا منح القيادة لزملاء العمل الذين يتقلدون مناصب أقل ولكنهم يتمتعون بمهارات تقنية أعلى، فحينها لن يتمكن المدير من المساعدة، وسينتج عن ذلك تحقيق قيم سالبة لكفاءة سير العمل بسبب الاحتكاك بينهم خلال تعاملاتهم (الشكل التوضيحي 7). ويعزى ذلك إلى أنَّ هؤلاء المديرين لن يتمكنوا من مساعدة أعضاء الفريق الآخرين، وبالتالي لن يكونوا قادرين على ابتغاء مرضاة الله (سبحانه وتعالى) والوفاء بواجبهم الإلهي الأول للصدقات. بل على النقيض من ذلك، فقد يشعر هؤلاء المديرين بالإحباط مما يدفعهم لاستغلال الشعور بالخوف والإذلال في إظهار سلطتهم. لذا، سيؤدي هذا السلوك غير المهني إلى انخفاض الروح المعنوية للمرؤوسين وتقليل مستوى مشاركتهم.

$$\text{كفاءة سير العمل} \propto \frac{\text{الأغنياء في}_{\text{المهارات}} - \text{الفقراء في}_{\text{المهارات}}}{\text{منصب}_{\text{أقل}} - \text{منصب}_{\text{أعلى}}} < 0 \quad (11)$$

وبعبارة أخرى، فإنَّ القيم السالبة للمعادلة (11)، الناتجة عن وضع الموظفين بشكل غير صحيح في نظام التصنيف، تشبه إضافة مقاومة إضافية لسير العمل، وهو ما قد يؤثر تأثيرًا سلبيًا في كفاءة سير العمل في التسلسل الهرميّ والأداء العام للشركة. لذا، وبناءً على هذا النموذج المقترح القائم على الإسلام والمشابه لاتجاه التدفقات الطبيعية، في حال شغل كل موظف المنصب المناسب وفقًا للمهارات التقنية (الشكل التوضيحي 8) راجيًا ابتغاء مرضاة الله (سبحانه وتعالى) والوفاء بالقانون الإلهي الأول للصدقات عن طريق مساعدة زملاء العمل الذين يُشرَف عليهم؛ فسينتج عن ذلك تقليل الاحتكاكات بين الموظفين للحد الأدنى ورفع الروح المعنوية وزيادة مشاركة جميع الموظفين.



الشكل التوضيحي (8): الطّريق الأبديّ للصّدقات في المؤسسات.

نتيجة لذلك، ستحقق كفاءة سير العمل أقصى حد من القيم الموجبة على جميع مستويات المؤسسة. فضلًا عن ذلك، فمن المرجح أن يكون الموظفون الذين تم مساعدتهم أكثر ميلًا لمساعدة الآخرين في المقابل. وبالتالي، فإنَّ أماكن العمل التي تتبنى ثقافة المساعدة تشهد أداءًا أفضل بين موظفيها. كما تشير الأبحاث إلى أنَّ أماكن العمل الأكثر تعاونًا تحقق أداءً أفضل؛ حيث تنتج منتجات ذات جودة أفضل وتزداد مبيعاتها[26]. لذلك، بمجرد إدماج القوانين الإلهية للصّدقات في أي مؤسّسة، سيقود ذلك إلى تحقيق أعلى مستوى أداء للشركة نظرًا لأن سير العمل سيصبح أكثر سلاسة. وختامًا، كما يقول الله في آيات الذكر الحكيم: [**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (7)**] (القرآن الكريم: سورة الليل (92)، الآيات: من 5 إلى 7)، فعلى غرار مجيء فصل الربيع الرائع بعد تجلي إشارات الصدقات في الطبيعة، فإن مكافأة المديرين الذين يرجون مرضاة الله (سبحانه وتعالى) والوفاء بالقانون الإلهي الأول للصدقات تتمثل بالتأكيد في شعورهم بالسعادة، وهو ما سيمكنهم من تهيئة بيئة ممتعة في مكان العمل. وفيما يتعلق بالقانون الإلهيّ الثاني للصّدقات، فإن سير العمل الذي يُنجز عن طريق مساعدة هؤلاء المديرين سيُحسب أعمالًا صالحة لهم في الطريق الأبدي للصدقات.

وبالأخير، فقد طلب الله من المسلمين برحمته الواسعة أن يعبدوه في أماكن العمل عن طريق مساعدة الآخرين فحسب حتى تُحتسب واجباتهم اليومية أعمالًا صالحة في الطريق الأبدي للصدقات. وفي الوقت ذاته، يبعث الله الطمأنينة في نفوسنا بأنَّه هو الرازق المتكفل بجميع أرزاق خلقه، بما في ذلك الراتب الشهري؛ كما هو مذكور في آيات القرآن الكريم: [**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**] (القرآن الكريم: سورة هود (11)، الآية: 6).

القيادة القائمة على الإسلام في أماكن العمل

[قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]

(القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية 26).

عندما وصلت إلى مدينة كيبيك في العاشر من يناير عام 1990 لبدء دراساتي العليا لنيل درجة الدكتوراه، كانت المدينة يكسوها الثلوج، ثم ما لبثتُ أن ذهبتُ مباشرةً لزيارة مكتب البروفيسور سيرج كالياجين في «جامعة لافال» لأعرفه بنفسي. وعقب التعارف على الطلاب الآخرين، قضيت أسبوعي الأول بالمدينة باحثًا عن شقة صغيرة بجوار الجامعة. وحينما أصبحتُ على دراية بموضوع البحث الذي أجريه والمختبر، صرتُ أحيانًا أتردد على مكتب البروفيسور كالياجين لمناقشة بعض التحديات التي كنتُ أواجهها، كما عقدنا اجتماعات مطولة عندما كان لديّ بيانات تجريبية كافية لنشر ورقة علمية. وعلى النقيض من ذلك، فعندما توليتُ وظيفتي بصفتي باحث ما بعد درجة الدكتوراه في معهد أوساكا الوطني للأبحاث باليابان، حضر رئيس فريق الأبحاث، البروفيسور هيرويوكي كوجيما، إلى المطار للترحيب بوصولي ثم دعاني لتناول عشاء ياباني قبل أن يصحبني إلى الشقة المجهزة التي استأجرها مركز الأبحاث لإقامتي.

وفي لفتة ترحيبية بقدومي، نظَّم مركز الأبحاث حفلًا لاستقبالي في أحد المطاعم، حيث التقيت هناك بجميع أعضاء فريق الأبحاث وتجاذبنا أطراف الحديث بينما ظهر عليهم شعور غامر بالارتياح والسعادة. وبالرغم من ذلك، عندما بدأتُ عملي في الأسبوع الذي يليه، تفاجأتُ عندما لاحظتُ وجود سلوكيات مختلفة تمامًا في مركز الأبحاث؛ أولًا: لا يبدو وكأن أحدًا يعرفني مطلقًا، وثانيًا: دائمًا ما يعلو وجه الباحثون ملامح الجدية الشديدة ويبدون منهمكين للغاية بينما يسيرون وهم في عجلة في أمرهم بين أروقة مركز الأبحاث، وثالثًا: يُنظر إلى «المدير» كشخص مهم للغاية ويكاد يُعامل

باعتباره إلهًا. ومن هذا المنظور، فقد كان البروفيسور كوجيما دائمًا أول من يصل إلى العمل من أعضاء الفريق، ولكنه أول من يغادر؛ ولا يمكن لأحد أن يغادر قبله. وعندما يغادر، دومًا يقول الجملة ذاتها «Shitsureishimashita (والتي تعني: المعذرة، سأغادر قبلكم)». وحينما شرعتُ في برنامج البحث، كان البروفيسور كوجيما داعمًا، وغالبًا ما كان يسألني إذا كنت بحاجة إلى مساعدته. وقد عقدنا اجتماعات جماعية كل أسبوع تقريبًا لمناقشة النتائج والتحديات التي يواجهها كل عضو من أعضاء فريق الأبحاث. وخارج مكان العمل، دعاني يومًا البروفيسور كوجيما لتناول وجبة العشاء برفقة أسرته، كما زارني في منزلي عدة مرات لاحتساء القهوة سويًا ومناقشة عملي البحثي. وأثناء عطلات نهاية الأسبوع، دعانا أيضًا البروفيسور كوجيما للحضور إلى مركز الأبحاث للعب مباراة كرة القدم أو كرة الطاولة معه. وفي إحدى العطلات الأسبوعية كان لديّ خطة أخرى، ولكن زميلي الياباني أخبرني قائلًا: «عندما يدعوك المدير لأي نشاط؛ فهذا يعني أنه يجب عليك الذهاب».

[وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]

(القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية 104).

إنَّ تأثير المديرين في كفاءة سير العمل على أي مستوى من التسلسل الهرميّ يعتمد اعتمادًا أساسيًا على كيفية تأثيرهم (المهارات الشخصية) في الموظفين الذين يشرفون عليهم. وتتضح ثمانية أساليب قيادية معروفة في المؤلفات ذات الصلة، وهي: (أ) الديمقراطية، (ب) الاستبدادية، (ج) عدم التدخل، (د) الإستراتيجية، (هـ) التوجيهية، (و) المعاملات، (ز) البيروقراطية، (ح) الخدمية [30-33]. فضلًا عن أسلوب القيادة المتبع، فمن الصفات الشخصية الموصى بشدة بأن يتسم بها المديرين المطلوبين: (أ) الثقة، (ب) الصدق، (ج) مهارات التواصل، (د) التعاطف، (هـ) التفاؤل، (و) التشجيع، (ز) الحدس، (ح) التصرف باعتباره قدوة حسنة[34]. ولقد توصلت الأبحاث على نطاق واسع إلى أنَّ المديرين الذين يساعدون الموظفين

المُشرَف عليهم في تحقيق النجاح بإمكانهم أيضًا أن يدفعوا الموظفين ليصبحوا قادة أفضل (الشكل التوضيحي 9).



الشكل التوضيحي (9): مساعدة الآخرين ليكونوا قادة أفضل [35].

تعرب ماري كاي آش مجددًا بقولها: «نحتاج إلى قادة بوسعهم إضافة قيمة إلى حياة الأفراد والمؤسسة التي يقودونها؛ ممن يسعون لصالح الآخرين وليس لمجرد تحقيق مكاسبهم الشخصية. فالقادة بحق هم أولئك الذين يلهمون الآخرين ويحفزونهم، وليس مَن يسعون إلى تخويف الآخرين والتلاعب بهم؛ أولئك القادة هم من يحيون مع غيرهم لمعرفة مشكلاتهم لحلها والذين يتبعون بوصلة أخلاقية تشيرإلى الاتجاه الصحيح بغض النظر عن التوجهات السائدة» [36].

[وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ]

(القرآن الكريم: سورة الأنبياء (21)، الآية: 73).

وطبقًا للقرآن الكريم، فإنَّ القيادة تمثل مكانة مقدسة بوسعها حل مشكلات البشرية وإرشاد البشر إلى الله (سبحانه وتعالى)، فقد جسَّد النبي (صلى الله عليه وسلم) التعاليم الإلهية في شتى مجالات الحياة؛ حيث مثَّلَ التميّز في القيادة بوصفه أعظم مصلح وقائد، كما يتضح كونه تجسيدًا للأخلاق والأمانة والصدق وفهم الآخرين والقيادة الفعالة المستنيرة[37]. فعلى سبيل المثال، بغية تحقيق أقصى قدر من سير العمل، يتعين على القائد المخضرم تحديد السمات الإيجابية والسلبية لكل عضو في فريقه واتخاذ القرارات بناءً على ذلك. وفي ضوء هذا الجانب من القيادة، كان لأحد الصحابة المشهورين؛ وهو بلال بن رباح، صوت عذب يتلألأ، وإدراكًا من النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذه الموهبة، فقد أعلن بلال مؤذنًا رسميًا له (أي الشخص الذي ينادي المسلمين .للصلوات). وفي مقابل ذلك، رفض النبي (صلى الله عليه وسلم) إسناد مسؤولية إدارية لصحابيّ آخر شهير؛ وهو أبو ذر الغفاري؛ وذلك لافتقاره إلى المهارات المطلوبة[38]. ووفقًا للقرآن الكريم وتعاليم السنة النبوية فإنه يتعين على المديرين المسلمين اتباع السلوكيات التالية بهدف إدارة سير العمل بكفاءة وقيادة الأشخاص إلى الطريق الأبدي للصدقات:

1. يتوجب طاعة القادة المسلمون من أتباعهم كما يقول الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] (القرآن الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 59).
2. في الوقت ذاته، لا ينبغي للقادة المسلمين إظهار علامات الكِبْر؛ كما قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[39].

3. التحلي بصفات القائد الخدوم للآخرين وصفة التواضع، كما كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) دائمًا بين قومه عند تعليمهم ومساعدتهم وإرشادهم. فلم يسبق له أن ركن إلى الراحة أو سعى إلى تولي منصب أعلى شأنًا بين قومه[40].

4. يتعين على القادة المسلمين إظهار التعاطف كما يقول الله تعالى عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): [**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**] (القرآن الكريم: سورة التوبة (9)، الآية: 128).

5. يعزز الإسلام قيمة المسؤولية المشتركة؛ كما قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم): «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[41].

6. يتعين أيضًا على القادة المسلمين أن يكونوا أشخاص ودودين كما هو مذكور في القرآن الكريم: [**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**] (القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 159).

7. يُنصح القادة المسلمون أيضًا بمشاركة الموظفين في عملية اتخاذ القرارات كما هو موضح في هذه الآية القرآنية: [**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ**] (القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 159)

[يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا]

(القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية 71).

يمثل موقع القيادة في الإسلام إحدى المسؤوليات الثقيلة والواجبات الإلهية، لذا؛ فالجميع ليس مؤهلًا لها. فعلى سبيل المثال، حدثنا عبد الرحمن بن سمورة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ أُكِلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»[42]. لذلك، وبما أنَّ السلوكيات غير العادلة التي تقع من المديرين قد تمنع الموظفين من تطهير النفس وتزكيتها في الطريق الأبدي

للصدقات، فإنَّ الله (سبحانه وتعالى) يحذر القادة المسلمين بقوله: [**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**] (القرآن الكريم: سورة النحل (16)، الآية: 90).

الاستهلاك وتحذيرات من الرحيم (سبحانه وتعالى)

[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا]

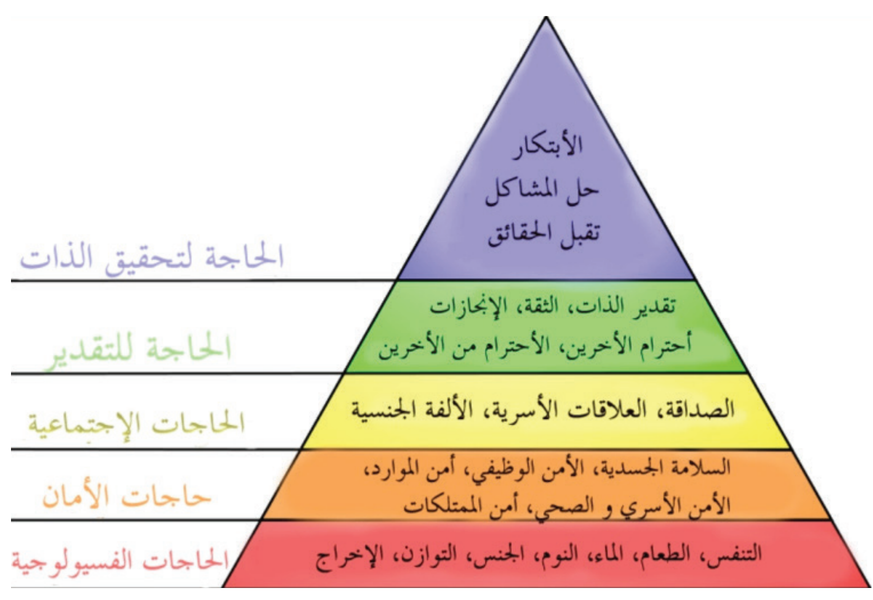
(القرآن الكريم: سورة الكهف (18)، الآية: 30).

حينما وصلتُ إلى مدينة نيويورك في مطلع شهر أكتوبر من عام 1980 لبدء دراساتي العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، شهد موسم احتفالات الكريسماس في تلك السنة بشكل خاص الكثير من الأجواء الساحرة. ونظرًا لكوني مقيمًا في «إنترناشونال هاوس»، فقد رأيتُ لأول مرة طائفة متعدد الثقافات من الطلاب يتبادلون الحديث سويًا بكل رحابة صدر. ما زالت تلك الأمسية في شهر ديسمبر تداعب ذكرياتي حينما ذهبتُ بصحبة صديقي الجزائري (عمرو) لنتأمل زينة احتفالات الكريسماس المبهجة لأول مرة في وسط مدينة مانهاتن. وبينما كنا نتناول شطائر البيتزا بالقرب من مركز روكفلر للتزلج على الجليد، كنا نستمتع برؤية الأشخاص السعداء وهم يتزلجون أسفل شجرة الكريسماس، وفي الوقت ذاته، كنتُ أشاهد السيدات والرجال من ذوي المظهر الأنيق أثناء مغادرتهم المباني الشاهقة حول المركز بينما يسيرون مسرعين في طرقات مانهاتن الممتدة. وبعد برهة، قررنا متابعة ذلك الحشد المفعم بالنشاط حتى وصلنا إلى متجر ميسيز. وإذ بأغاني الكريسماس الهادئة تعلو من وراء الباب الرئيسي للمتجر للترحيب بالزبائن، فيما بدا موظفو المتجر بالداخل متحمسين للغاية لمساعدة الزبائن في شراء مختلف أنواع الهدايا. وخلال طريق عودتنا إلى فندق «إنترناشونال هاوس»، كانت أصوات الموسيقى الصاخبة تعج بأرجاء شارع برودواي، حيث رأينا بعض المتسولين السود وهم يرقصون بسعادة غامرة عند تلقيهم الطعام والمال من الأشخاص المارين. وريثما وصلنا إلى الفندق، شاهدنا الكثير من الطلاب مجتمعين لتناول وجبة العشاء سويًا في وقت متأخر حول أضواء شجرة الكريسماس وهم يتحدثون ببهجة كأنهم أفراد أسرة واحدة.

[وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا]

(القرآن الكريم: سورة النّساء (4)، الآية: 28).

بشكل عام، فإن السعي إلى إشباع الحاجات الفسيولوجية، والحاجة إلى الأمن، والتواصل مع الآخرين، والحاجة للتقدير، وإدراك كامل الإمكانات الشخصية، جميعهم يشكل القوى الدافعة وراء أداء الأنشطة الاجتماعية والمهنية الملائمة. ومن أجل تكوين الصورة ذاتها للتدفقات الطبيعية في دورة الماء، فإن انتقالات الأشخاص الذين يقودون سياراتهم يوميًا في الطرق السريعة وشوارع المدن تُوصف في هذا الكتاب باعتبارها «تدفقات اجتماعية». بالرغم من ذلك، ثمة تناقض بين الحقيقة القائلة بأن التدفقات في الطبيعة تمتثل للقانونين الإلهيين للصدقات، بينما يتبع البشر مسارات فردية لتلبية احتياجاتهم الخاصة.



الشكل التوضيحي (10): هرم ماسلو للحاجات[43]

على سبيل المثال، كما هو مبين في الشكل التوضيحي (10)، وفيما يتعلق بالحاجة للتقدير، يمر الطلاب بتدفق اجتماعي في التعليم استعدادًا لخوض مسيرتهم المهنية. وسعيًا لتحقيق الأمن في الحياة، يشكل البشر جزءًا من

التدفق الاجتماعي للأنشطة المهنية. ولإشباع الحاجات الفسيولوجية، يتبع البشر تدفق الاستهلاك الذي يقودهم إلى الأسواق ومراكز التسوق، بينما يقضون أوقاتهم مع أفراد العائلة والأصدقاء والجيران من أجل تدفق الشعور بالحب والانتماء. أخيرًا، ولتحقيق الذات، فإن الأشخاص المبدعون للغاية يبدون رغبتهم في حل الانقسامات المتأصلة في التناقضات المطلقة؛ مثل الحياة مقابل الموت والحرية مقابل الحتمية[44].

من أجل تطبيق القانون العالمي الثاني للأنظمة الديناميكية على التدفقات الاجتماعية، يُعتبر أن لدى الأشخاص حافزًا محددًا لقيادة سيارتهم من أجل إنجاز نشاط مطلوب. وفي الوقت ذاته، فقد يؤدي عائق أو وقوع حدث ما إلى إلغائهم النشاط أو تأخر تحركهم. فعلى سبيل المثال، يمثل سوء الأحوال الجوية عائقًا أمام أي شخص من المقرر أن يذهب إلى مكان العمل. ويمكن حينئذ تمثيل تطبيق القانون العالمي الثاني للأنظمة الديناميكية (المعادلة 3) على التدفقات الاجتماعية لأي نشاط اجتماعي أو مهني على النحو التالي:

$$\text{التدفق الاجتماعي} \propto \frac{(\text{الحافز})}{(\text{العائق})} \qquad (12)$$

نظرًا لأن الاستهلاك يرتبط ارتباطًا وثيقًا بصفة الأنانية ويتعارض مع مفهوم الصّدقات، فإن هذا الفصل من الكتاب يتناول دراسة ذلك النشاط الاجتماعي وعواقبه. خلال هذا التدفق الاجتماعي، يتولد لدى الأشخاص حافز للذهاب إلى الأسواق أو مراكز التسوق لإنفاق أموالهم من أجل شراء السلع اللازمة، والتي تُعرف بأنها «المنفعة». ومن جهة أخرى، فإن مقدار المال الذي أُنفق أثناء التسوق يعتمد على الدخل الشخصي للفرد. وبشكل عام، كلما انخفض مقدار الدخل، قل مقدار الإنفاق. لذلك، يمكن اعتبار الدخل الشخصي بمثابة «مُوصِّل» للتسوق، وبالتالي يمكن تفسير معاكس الدخل على أنه مقاومة التسوق. وختامًا، فيما يتعلق بأي نشاط تسوق، فإنه يمكن وصف تدفق الاستهلاك (FC_1) نوعيًا كالتالي[45]:

$$\text{تدفق الاستهلاك } (FC_1) \propto \frac{\text{المنفعة}}{\left(\frac{1}{\text{الدخل}}\right)} \quad (13)$$

[يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]

(القرآن الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 31).

يُعرَّف الناتج المحلي الإجمالي (GDP) بأنه المقياس الكمي الأوسع للنشاط الاقتصادي الكلي للدولة، وبالتالي فإن الاقتصاد الاستهلاكي يعرض الاقتصاد المدفوع بإنفاق المستهلك كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي. فعلى سبيل المثال، يمثل إنفاق المستهلك في الولايات المتحدة الأمريكية ما يصل نسبته إلى 68% من الناتج المحلي الإجمالي[46]. ومن المؤكد أن استهلاك السلع له تأثير إيجابي في النمو الاقتصادي العالمي، إلا أن التسويق في الوقت الراهن هو المسؤول عن الزيادة المطردة في حجم الاستهلاك المفرط للسلع حول العالم. فعلى سبيل المثال، من أجل التنافس في هذا الاقتصاد القائم على الاستهلاك، بدأت الشركات في التركيز على الأشخاص باستخدام الإعلانات عن منتجاتها باعتبارها «وسيلة» للتأثير في عقولهم ودفعهم لإنفاق المزيد من المال في متاجرها. لذلك، ومن خلال التأثير في عقول المستهلكين ليصبحوا مشترين مندفعين بدلًا من شراء ما يحتاجون إليه فحسب (المنفعة)، يزيد التسويق من القوة الدافعة للشراء، وبالتالي سيصبح تدفق الاستهلاك هو تدفق الاستهلاك المفرط[45]:

$$\text{تدفق الاستهلاك المفرط } (FC_2) \propto \frac{(\text{التسويق}+\text{المنفعة})}{\left(\frac{1}{\text{الدخل}}\right)} \quad (14)$$

[وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27)]

(القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآيتان: 26 – 27).

بالإضافة إلى ذلك، ومن أجل تشجيع الحصول على المزيد من السلع والخدمات، فإن الوسيلة الأخرى لدفع المستهلكين إلى إنفاق المزيد من المال تكمن في زيادة دخلهم الشخصي بغرض تقليل مقاومة الإنفاق. ونظرًا

لعجز الشركات عن زيادة مستوى دخل الأشخاص، فقد استحدثت البنوك والشركات نظام بطاقات الائتمان لتقديم القروض باعتبارها مصادر دخل زائفة لأخذ المزيد من المال من محفظة العملاء. فعلى سبيل المثال، ووفقًا لاستبيان أُجري في عام 2017، بلغ إجمالي ديون بطاقات الائتمان الأمريكية 927 مليار دولار أمريكي، وهو ما يزيد بنسبة %5 عن عام 2016 [47]. وللأسف، تزداد وتيرة الاستهلاك كأنها طاعون في نمط حياتنا اليوم، حيث يتصرف البشر بشكل أشبه بمحركات الإنفاق المُوجهة التي تركز أنماط حياتهم الخاصة على مراكز التسوق والمبيعات والعروض الجديدة. فعلى سبيل المثال، تظهر بعض الإحصائيات أننا نرتدي %20 من ملابسنا فقط خلال %80 من الوقت، مما يعني أن الكثير منا لديه خزائن مليئة بالملابس التي لم تعد تعجبنا أو لم تعد تناسبنا بشكل ملائم[48]. لذا، يمكن وصف التدفق المقابل للاستهلاك نوعيًا كالتالي[45]:

$$\text{تدفق الاستهلاك}\ (FC_3) \propto \frac{\text{المنفعة} + \text{التسويق}}{\left(\frac{1}{\text{الدخل}+\text{القرض}}\right)} \quad (15)$$

وختامًا، بعد التأثر بإعلانات التسويق لشراء أكثر من الاحتياجات، فمن الوارد البقاء في مصيدة حلقة الديون لسداد ديون الشركات الائتمانية من أجل شراء السلع التي ربما أصبحت مستهلكة أو عديمة القيمة.

[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ]

(القرآن الكريم: سورة الحديد (57)، الآية: 20).

يمكن تفسير الاستهلاك، الذي يعززه التسويق والقروض، من خلال الحقيقة القائلة بأن هدف الشركات والبنوك يكمن دائمًا في تحقيق الحد الأقصى من أرباحها بغرض الحفاظ على قدرتها التنافسية. ويتماشى هذا السلوك الأناني مع نظرية «هرم ماسلو للحاجات» التي تنص على أن الحافز الأساسي للبشر هو الأنشطة التي تفيدهم فحسب. بالرغم من ذلك، ثمة تناقض بين القانون الإلهي الأول للصّدقات الذي فرضه الله (سبحانه وتعالى) على الكون بأسره، وأن المال في التدفق الاجتماعي للاستهلاك يتدفق من المستهلكين إلى الشركات والبنوك الأكثر ثراءً (الشكل التوضيحي 7). لذلك، واستنادًا إلى الآية القرانية **[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ]** (القرآن الكريم: سورة الحديد (57)، الآية: 25)، فإن هذا الانحراف هو المصدر الرئيسي لأوجه الظلم الدولي، والفجوة المتزايدة بين الفقراء والأغنياء، وتصاعد موجة الفقر في جميع أنحاء العالم، والاحتباس الحراري، وتدفّقات الهجرة البشرية إلى البلدان الغنية، وانتشار الجرائم والحروب.

[وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ]

(القرآن الكريم: سورة الجمعة (62)، الآية :11).

على سبيل المثال، يكمن سبب الاستهلاك في الاعتقاد الشائع بأننا نرغب في شراء الراحة والمتعة والسعادة المطلقة. بينما الحقيقة المحزنة هي أن البحث عن الراحة والملذات له عواقب وخيمة على البشرية مثل ظهور القلق والاكتئاب والشعور بالاغتراب عن الروح. فعلى سبيل المثال، نُشرت

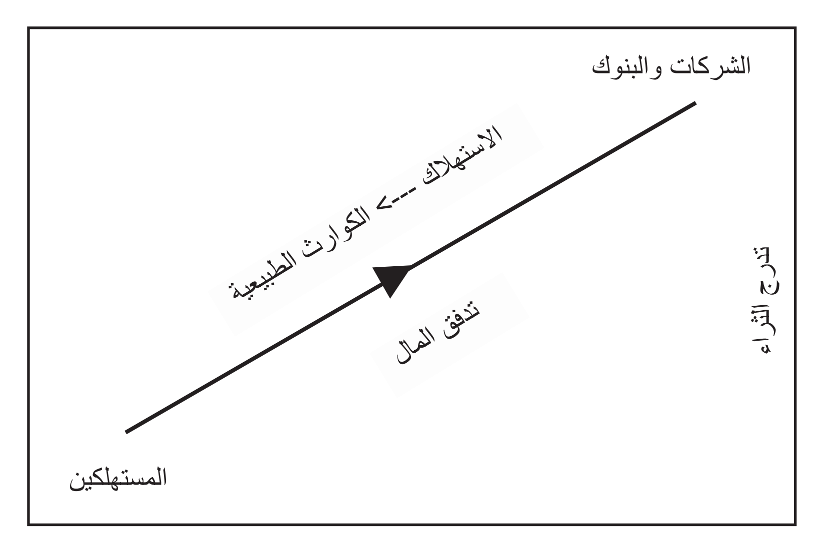
ورقة بحثية بعنوان «الثمن الباهظ للمادية»[49]، حيث يوضح الكاتب أن الأشخاص الذين تدور حياتهم حول أهداف خارجية مثل اقتناء المنتجات، يعانون من تعاسة أكبر في العلاقات ويمرون بحالات مزاجية سيئة ولديهم الكثير من المشكلات النفسية. وسعيًا لتعزيز لهذه النتائج، يدعي باحث عالم النفس «بروك باستيان» بأنه لا بد من الاستعداد لاختبار الشعور بالانزعاج وعدم الراحة خلال سعينا لتحقيق السعادة الحقيقية، وأن جهودنا المضنية للهروب من الأحداث غير السارة أو البحث عن الإيجابية فحسب، فإنها في حقيقة الأمر تؤدي إلى إضعاف قدرتنا على مواجهة صعوبات الحياة الحتمية[50]. ولتقريب هذا الفهم إلى أذهاننا، يحذرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عواقب التعلق بالممتلكات المادية، بقوله: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[51].

[وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا]

(القرآن الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 56).

وإلى جانب الإضرار برفاهيتنا، يظهر كل يوم دليل جديد على مدى تأثيرنا في البيئة الذي يصعب التحكم فيه، حيث تشير جميع الدلائل إلى أن النشاط البشري يدفع كوكب الأرض إلى الهاوية. فضلًا عن ذلك، ووفقًا لهذه الآية القرآنية، فإن زيادة انبعاثات ثاني أكسيد الكربون الناتجة بشكل أساسي عن الاستهلاك تؤدي إلى اختلال التوازن الكيميائي الذي فرضه الله (سبحانه وتعالى) على الغلاف الجوي. ونتيجة لذلك، فإن الكمية المتزايدة من الطاقة (الحرارة) التي تصل إلى الأرض من الشمس تظل عالقة في الغلاف الجوي ولا تنبعث في الفضاء. ويتسبب الاحتباس الحراري الناتج عن ذلك في حدوث كوارث طبيعية (الشكل التوضيحي 11)، لأنه يصبح من الأصعب على البيئة إيجاد توازن جديد قد يلحق الضرر أيضًا بجمال وبركات كل موسم من المواسم الأربعة. علاوة على ذلك، واستنادًا إلى هذه الآية القرآنية:

[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] (القرآن الكريم: سورة الرّوم (30)، الآية: 41)، فقد حذرنا العلماء في الدورة الحادية والعشرين لمؤتمر الأطراف (COP 21) من خطورة نتائج ظاهرة الاحتباس الحراري؛ والتي تتضمن زيادة خطر الجفاف وازدياد شدة العواصف، بما في ذلك الأعاصير الاستوائية المقترنة بازدياد سرعة الرياح العالية، والأمطار الموسمية الآسيوية، وربما عواصف خطوط العرض المتوسطة الأكثر شدة[52].



الشكل التوضيحي (11): الاستهلاك والكوارث الطبيعية.

[قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ]

(القرآن الكريم: سورة التوبة (9)، الآية: 24).

للبحث عن حلول للاحتباس الحراري، فإن التقرير الصادر عن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) يشير إلى أن التغييرات في أنماط الحياة والسلوكيات قد تقلل من حجم الطلب على الطاقة بنسبة تصل إلى 20% على المدى القصير وبنسبة تصل إلى 50% من المستويات

الحالية بحلول منتصف القرن[53]. ونتيجة لذلك، يبدو أن الأحداث المستقبلية في كوكب الأرض تعتمد على تصرفاتنا وممارساتنا اليومية أكثر مما تعتمد على إحراز التقدم التكنولوجي. وبما أن الله (سبحانه وتعالى) يحب جميع مخلوقاته حقًا، فإن رحمته لن تدعنا نواصل انتهاك القوانين الإلهية للصدقات والاستمرار على نمط حياتنا القائم على الملذات والاستهلاك مما قد يقودنا إلى مصائب جسيمة. ومن ثمَّ، فإن إيجاد حلول تكنولوجية بشأن انبعاثات ثاني أكسيد الكربون لن يمثل حلًا على الإطلاق. واستنادًا إلى هذه الآية القرآنية، فإن زيادة شدة الكوارث الطبيعية قد تكون مجرد علامة وتحذير من الله (سبحانه وتعالى) للبشرية من خلال الطبيعة من أجل إعادة النظر في نمط حياتنا. إنَّ هذا الافتراض يؤيده الوقت الراهن بعد ظهور جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد19-) الذي قد يمثل تحذيرًا عالميًا آخر من الرحيم (سبحانه وتعالى) لإجبار البشرية على تغيير نمط الحياة القائم على الاستهلاك. وفي حقيقة الأمر، لقد أدت جائحة فيروس كورونا المستجد إلى إلزام جميع دول العالم بتقليص حجم الأنشطة الاقتصادية. وكنتيجة إيجابية لذلك، فقد انخفضت انبعاثات ثاني أكسيد الكربون بشكل ملحوظ[54].

[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]

(القرآن الكريم: سورة الذاريات (51)، الآية: 56).

خلقنا الله (سبحانه وتعالى) بنظام أشبه بمنظمة ذات تسلسل هرمي، إذ يترأس القادة أعلى التسلسل الهرمي مثلما العقل والقلب في جسد الإنسان، ونظرًا لأنهما عضوان حيويان، فكلاهما محميان بوجودهما داخل الجمجمة والقفص الصدري على التوالي. بينما تتواجد أجزاء الجسم المتعلقة باحتياجاتنا الفسيولوجية في الجزء السفلي. ومن المفترض أن يتمثل دور العقل والقلب في توجيه قراراتنا وإدارة مشاعرنا التي قد تساعدنا على اتخاذ القرارات الصائبة، مما يؤثر تأثيرًا إيجابيًا في الأحداث المستقبلية لعالمنا. لذلك، واستنادًا إلى هذه الآية القرآنية، فإن الحكمة الإلهية التي ستنقذ البشرية من وقوع المزيد من المحن والمصائب هي الامتثال للقوانين

الإلهية للصدقات التي فرضها الرحيم (سبحانه وتعالى) الذي خلقنا ويعلم يقينًا ما هو الأصلح والأنفع لخلقه. ومن هذا المنظور، وبغية التحول من النزعة الاستهلاكية إلى المجتمعات القائمة على أداء الصدقات، يتبنى بعض الأشخاص بالفعل نمط الحياة المبسط والذي يُعرف بتوجه «المِينيماليزم» (ويُقصد به التقليلية)[48]. إذ ترتكز أهم مزايا هذا النمط الجديد للحياة في تقليل النفايات بغرض مساعدة البيئة، وخفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في العالم، وتوفير المال والوقت المستخدم في الاستهلاك المفرط من أجل عبادة الله (سبحانه وتعالى) من خلال مساعدة الآخرين بأداء الأنشطة القائمة على الصدقات. وفيما يتعلق بالشعور بالانزعاج من وقوع الكوارث الطبيعية وظهور جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، يقول «الرحيم» في محكم تنزيله: [**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)**] (القرآن الكريم: سورة الشرح (94)، الآيات: من 6 إلى 8).

النموذج التعليمي القائم على الإسلام

[وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (3)]

(القرآن الكريم: سورة الطلاق (65)، الآيتان: 2-3).

بدأت دراستي الجامعية في المعهد الجزائري للبترول في شهر سبتمبر عام 1975. كنتُ طالبًا متوسط المستوى؛ استمتعتُ بالتعلم ولم أقلق كثيرًا بشأن الدرجات. وفي نهاية العام الدراسي الرابع، اخترت الكلية أفضل ثلاثة طلاب من حيث معدل الدرجات التراكمي لمتابعة دراساتهم العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. وبغرض استكمال الجزء النظري من الدراسات، كانت السنة الخامسة عبارة عن برنامج تدريبي فني؛ حيث شارك الطلاب في تدريب ميداني لمدة تسعة أشهر في عدد من مصانع المواد الكيميائية من أجل دراسة العمليات المطبقة بها ثم العودة إلى الجامعة لعرض مشروعهم أمام لجنة من الخبراء. وحينما وصلت إلى منشأة الغاز النفطي المُسال في مدينة أرزيو، الواقعة في الجزء الغربي من الجزائر، علمتُ أنَّ المنشأة قد أُغلقت لعدة أيام بسبب مشكلة فنية في الشُعلة. علمًا بأن الأمر سيستغرق عدة أشهر من أجل حل المشكلة وبدء العمل في المنشأة مجددًا، فقد نصحني مدير منشأة النفط بالانضمام إلى الفريق الفني والتعلم من تصميم الشعلة الجديدة. وفي نهاية تدريبي الفني، عدتُ إلى المعهد لتقديم مشروعي الفني إلى لجنة الخبراء. وبخلاف الطلاب الآخرين الذين قدموا بصورة رئيسية وصفًا للعمليات الكيميائية ذات الصلة بمنشآتهم الصناعية، استند عرضي التقديمي إلى حسابات التصميم المعقد التي تعلمتها من المهندسين الفنيين في منشأة الغاز النفطي المُسال. تفاجأت اللجنة بعرضي التقديمي ومنحتني أعلى درجة. ونتيجة لذلك، حققتُ المركز الثاني من حيث أفضل معدل درجات تراكمي، وقدم الأستاذ كوستاس جوجوس من معهد ستيفنز للتكنولوجيا (نيوجيرسي، الولايات المتحدة الأمريكيّة) عرض منحة دراسية لمواصلة دراساتي العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. إذا ما تأملتُ هذا

الحدث الاستثنائي في حياتي ومن خلال فهمي الحالي للإسلام، أدركُ الآن أنه حتى دونما أكون من بين أفضل طلاب الصف، فقد أوجد «الْفَتَّاح» (سبحانه وتعالى) تلك «الصدفة» المتمثلة في المشكلة الفنية في المنشأة الكيميائية والتي ساعدتني على تقديم عرض ممتاز؛ مما أفسح لى المجال لاستكمال دراستي العليا في الولايات المتحدة الأمريكية.

[قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ]

(القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 32).

تعد العلاقة بين المعرفة وممارستنا و أفعالنا اليومية إحدى الموضوعات الرئيسية في مجال علم النفس. فوفقًا لعالم النفس «خواكيم فونكه»؛ يستحيل على المرء التصرف دون أن تتحقق لديه المعرفة[55]. ومع ذلك، فكل طفل حديث الولادة لديه غريزة التشبث بأمه ليرضع الحليب من ثدي أمه بشكل إيقاعي، والقيام بمثل هذا الفعل الغريزي يلزمه معرفة، إذاً فمن الذي أمدَّه بهذه المعرفة حتى يتمكن من العيش؟ وتعد الآية الكريمة: **[وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا]** (القرآن الكريم: سورة الحج (22)، الآية: 5) من الأمثلة الأخرى التي توضح لنا أن الله (سبحانه وتعالى) هو من يعلمنا كل شيء. وتُعرف حالة النسيان تلك والتى تمتد لنسيان حتى أسماء أفراد الأسرة ووجوههم بمرض ألزهايمر؛ والذي يصيب عادة الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن الخمس وستين عامًا. ومن هذا المنطلق، ووفقًا لاسمين من أسماء الله الحسنى: «اَلْعَلِيْم» و«النُّور»، فإن الله (سبحانه و تعالى) هو المعلم الأكمل والمرشد الأمثل للإنسانية كما ورد ذكر ذلك في الآية الكريمة **[وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا]** (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 31).

[لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ]

(القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 164).

كان نزول القرآن الكريم في القرن السابع أمرًا ثوريًا حقًا بالنسبة للمجتمع العربي الذي غلبت عليه الأمية. ولمَّا كان القرآن الكريم هو كتاب الله المُنَزل؛ وكانت هناك حاجة للتفاعل معه بصورة منتظمة من خلال القراءة وتلاوة كلماته، باتت نفوس أغلب المسلمين ترنو إلى قراءة القرآن الكريم وكتابته للاستزادة من كامل نعمه. وعليه، ودون مواربة، فقد استمد التعليم في الإسلام جذوره من العلاقة التكافلية التي تجمع بينه والتعاليم الدينية. فضلًا عن ذلك، فقد أولى الإسلام منذ ظهوره أهمية قصوى للتعليم، كما حظي بتراث فكري طويل وعريق. في واقع الأمر، يتفرد التعليم الإسلامي عن غيره من الأنواع الأخرى من النظريات والممارسات التعليمية، ويُعزى ذلك بشكل كبير إلى التأثير الجامع للقرآن الكريم. فعلى سبيل المثال، أكَّد القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا على أهمية التعليم من خلال نصوص الأوامر المتواترة، ومن بينها الآية الكريمة **[يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ]** (القرآن الكريم: سورة المجادلة (58)، الآية: 11)، والآية الكريمة **[رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا]** (القرآن الكريم: سورة طه (20)، الآية: 114)، وكذلك الآية الكريمة **[كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ]** (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية:282). وتشكل هذه الآيات القرآنية وما يماثلها حافزًا قويًا للمجتمع الإسلامي كي يسعى جاهدًا من أجل التعليم والتعلم. بل الأمر الأكثر أهمية هو أن مفهوم المعرفة (العلم) في الإسلام هو النور الهادي (الهدى) الذي يفصل بين الحق والباطل (الفرقان). لذا، وعلى المنوال ذاته؛ فكما تشع الشمس نورًا كي تبصر أعيننا العالم من حولنا، فإن العلم هو مصدر الإرشاد لرؤية الحقيقة.

وفي ملاحظة أخيرة، فإن المكانة القدسية للمعرفة في الإسلام تتأكد أيضًا من خلال حقيقة أن لفظة «العلم» ومشتقاتها وردت 779 مرة في القرآن الكريم (بمتوسط يبلغ 7 مرات في السورة). وتأتي هذه اللفظة في المقام الثاني من حيث التكرار بعد لفظ الجلالة «الله»[56]. وأخيراً، فإن أهمية التماس المعرفة في الإسلام تتضح أيضًا من خلال حقيقة أن أول آية من آيات القرآن الكريم، التي تنزَّلت على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من خلال مَلَك الوحي جبريل عليه السلام، قد بدأت بقوله تعالى: [**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**] (القرآن الكريم: سورة العلق (96)، الآية: 1).

[**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**]

(القرآن الكريم: سورة الزمر (39)، الآية: 9).

نظرًا لكون التعليم هو السبيل إلى حل المشكلات الاجتماعية والتقنية التي يواجهها عالمنا اليوم، يطرح هذا الكتاب نموذجًا تعليميًا قائمًا على الإسلام يشتمل على أساليب التدريس التي اتبعها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). بدايةً، وعلى غرار هذا الكتاب، فيمكن الجمع بين آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في فصول الكتب المدرسية والمواد التعليمية التي تتوافق معها، وذلك بغرض تدريس العلوم الطبيعية والاجتماعية ضمن إطار العلم الإلهي. لذا، يجب ألَّا تقتصر خبرة المدرسين على مجال العلوم فحسب، بل يتعين أن يتمتعوا أيضًا بدراية جيدة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. ويكمن الهدف النهائي من هذا النموذج التعليمي القائم على الإسلام في خدمة البشرية جمعاء من أجل حل المشكلات المحلية والعالمية، وليس فرض أهداف النظم التعليمية والبحث العلمي من قِبَل الأفراد الأثرياء والشركات ممن يطمحون إلى تحقيق أرباح شخصية. بالإضافة إلى ذلك، سيصبح اكتساب المعارف العلمية الجديدة بمثابة وسيلة للبحث عن الحقيقة التي تقرِّبنا من الله (سبحانه وتعالى). وأخيرًا، سيكون طلاب الدراسات العليا مستعدين بشكل أكبر وراغبين في إرضاء الله (سبحانه وتعالى) من خلال أداء واجباتهم الإلهية في أماكن

عملهم المستقبلية واحتساب أنشطتهم اليومية بمثابة أعمالًا صالحة في الطريق الأبدي للصدقات.

[وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ]

(القرآن الكريم: سورة القلم (68)، الآية: 4).

وفيما يختص باستخدام أساليب التدريس التي اتبعها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ضمن نظام تعليمي قائم على الإسلام، فقد تبنى النبي (صلى الله عليه وسلم) منهجًا مميزًا كيما يعلِّم تابعيه والصحابة (رضي الله عنهم) أصول الإسلام ومفاهيمه المستقاة من الوحي الإلهي. وقد تناولت تعاليمه (صلى الله عليه وسلم)، التي تناسب كل زمان ومكان، جميع مناحي الحياة والعمل والمعيشة والمعاملات الإنسانية. أولًا، وبغية التعامل على الوجه الصحيح مع شتى أنواع البشر، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن، وبين ذلك». وهذا يعني أن البشر مختلفون، حيث إنهم ينتمون إلى أبيهم آدم (عليه السلام) الذي خُلق من تراب الأرض ثم حوله الله إلى طين. ومن ثَمَّ، فقد يحتاج كل فرد من الأفراد (أو جماعة من الجماعات) إلى أساليب معاملة خاصة[57]. ثانيًا، فيما يتعلق بالانفتاح على المجتمعات الأخرى، فقد شجع النبي (صلى الله عليه وسلم) صحابته (رضي الله عنهم) على الانفتاح على المجتمعات الأخرى حتى يعلموا عاداتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم. فعلى سبيل المثال، أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أحد أصحابه بتعلُّم اللغة العبرية ليكون ترجمان النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى يمكنه فهم رسائل قبائل اليهود والرد عليها باللغة العبرية[57].

[لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا]

(القرآن الكريم: سورة الأحزاب (33)، الآية: 21).

ثالثًا، لكي يتمكن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من نقل الرسالة الإلهية كاملةً لتعليم البشرية حوله، فقد خاطب عليه الصلاة والسلام القلوب في المقام الأول لينال مقام الحبيب في قلوب تابعيه، وذلك حتى يلهمهم للاستماع إلى رسالته[58]. رابعًا، بغية تحقيق عظيم الأثر للرسالة النبوية التي من شأنها تغيير سلوك البشرية على الدوام، استعان النبي (صلى الله عليه وسلم) بأحد أشكال الخطاب؛ والذي دفع تابعي الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى التفكير أثناء استخدامه أساليبه التعليمية المستندة بصفة رئيسية إلى التعلم النشط وأسلوب القياس[58-59]. وتمثَّل الهدف من استخدام أسلوب القياس في تعزيز خيال المستمعين وفضولهم. خامسًا، استعان النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوب التساؤل والاستفهام فيما كان يعلم تابعيه، حيث أنَّ هذا الأسلوب هو واحد بين الأساليب المهمة والمؤثرة في مجال التعليم التي تؤدي إلى إقامة تفاعل إيجابي بين الطالب والمدرس. وتمثَّل الهدف من استخدام السؤال الاستفهامي مع تابعي النبي (صلى الله عليه وسلم) بوصفه أسلوبًا تعليميًا في تحفيز عقولهم للتفكير والفهم. وفيما يلي بعضًا من الأمثلة على إستراتيجياته التعليمية: (1) سأل النبي (صلى الله عليه وسلم): «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسًا، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئًا، قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»؛ (2) كما استخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا القياس لشرح موضوع ما لفظيًا، كما استخدم الصورة الإيضاحية ليبين المقصد بشكل تخطيطي. ففي سياق هذا الحديث النبوي، رسم النبي خطًا مستقيمًا على الرمال ثم رسم خطوطًا إلى يمين الخط الأول وإلى يساره. وبينما كان الجمع ينظرون إلى الرسم بانتباه، تلا النبي (صلى الله عليه وسلم) الآية الكريمة: [وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ] (القرآن الكريم: سورة الأنعام (6)، الآية: 153)؛ (3) في أحيانٍ أخرى، أوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) مقصده مستخدمًا يده، حيث «قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى»؛ (4) وكذلك استندت أساليب التعليم التي اتبعها النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى التجارب الحياتية لتكون بمثابة فرصة للإرشاد والتوجيه. فعلى سبيل المثال، «وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ شَاةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: عَلَيَّ ذَبْحُهَا. وَقَالَ آخَرُ: عَلَيَّ سَلْخُهَا. وَقَالَ آخَرُ: عَلَيَّ سَلْخُهَا. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيَّ جَمْعُ الحَطَبِ. فَقَالُوا: نَحْنُ نَكْفِيكَ. فَقَالَ: قَد عَلِمْتُ أَنَّكُم تَكْفُونِي، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُم، فَإِنَّ اللهَ يَكْرَهُ مِنْ عَبَدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ؛ وَقَامَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَجمع الْحَطب»؛ (5) كان النبي (صلى الله عليه وسلم) في بعض الأحيان يطرح سؤالًا فيما يتعلق بأحد الموضوعات الأكثر أهمية وفائدة علمية. «فقد وَرَدَ أَنَّ أعرابيًّا قَالَ لرسول اللَّه (صلى الله عليه وسلم): مَتَى السَّاعَةُ؟ [أي يوم القيامة]. قَالَ رسولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم): مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ، وَلا صَلاةٍ، وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّه وَرَسُولَهُ. قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[59].

[آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا]

(القرآن الكريم: سورة الكهف (18)، الآية: 96).

في وقتنا الحاضر، تستلزم كل مهنة من المهن مستوى من «المعرفة والمهارات والقدرات (معيار KSA)» التي تُعد ضرورية في سبيل تحقيق النجاح في تلك الوظيفة. وغالبًا ما يُستخدم معيار «المعرفة والمهارات والقدرات» في تحديد متطلبات الوظائف الشاغرة وعقد مقارنة بين المتقدمين عند اتخاذ الخيار النهائي. في بادئ الأمر، لقد ولدنا جميعًا ونحن نتمتع ببعض المواهب، حيث أنَّ بعض الأشخاص لديهم هيئة جسدية

تناسب ألعاب رياضية معينة، بينما البعض الآخر يحظون بمهارات يدوية خاصة، وبعضهم بارعون للغاية في التواصل مع البشر، أما البعض الآخر فهم ممتازون في الدراسة. ويمكن تفسير هذه القدرة الفطرية إلى كون الأفراد بإمكانهم دراسة أساليب التفاوض في الجامعة، وذلك من خلال اكتساب المعارف المتعلقة بها إلى جانب ممارسة المهارات التي تتطلبها. ومن جانب آخر، فقلة من المفاوضين بارعون، نظرًا لأن لديهم العقلية الفطرية والمهارات الشخصية اللازمة للإقناع.

ومع ذلك، إذا كنَّا قد ولدنا بقدرة فطرية ولكن لم نحسن منها، فمن غير المرجح أن يكون لها تأثير في حياتنا المهنية. إذ أن الأمر يتطلب البحث عن المعرفة والمهارات اللازمة حتى يصبح المرء قادرًا على استخدام القدرة الفطرية باعتبارها ميزة قوية في وظيفة المستقبل. ولهذا الغرض، يمثِّل المدرسون مصدرًا للمعرفة والمهارات في مختلف أقسام العلوم الاجتماعية والطبيعية. في واقع الأمر، من شأن الإستراتيجيات وسلوكيات التدريس التي يتبعها المدرسون أن تؤثر في سلوك الطلاب المتخرجين فيما يضطلعون بأنشطتهم المهنية المستقبلية. ومن أجل تطبيق هذا النموذج التربوي القائم على الإسلام في الدول الإسلامية، وكما راعى النبي (صلى الله عليه وسلم) الاختلافات الفردية أثناء تعامله مع الناس، فإن النظام التعليمي الأكثر ملاءمة هو النظام الذي يركز على الطلاب، وذلك من أجل منحهم الفرصة لمعرفة ما يتوافق مع مواهبهم بشكل أفضل. فعلى سبيل المثال، استنادًا إلى الابتكار والإبداع والمسؤولية أثناء تجربة التعلم، تكمن الميزة الرئيسية للتعلم «المتمركز حول الطالب» (SCL) في أن يوفر المدرس للطلاب فرصة للتعلم وتطبيق مفاهيمهم الخاصة مع أقل قدر ممكن من التدخل والإشراف من قِبَل المدرس[60]. بعبارة أخرى، يهدف التعلم المتمركز حول الطالب إلى تطوير حس الاستقلالية الذاتية واللاتبعية لدى المتعلم، والنهوض بدور المدرس داخل الفصول الدراسية ليكون أشبه بـ «المدرب» الذي يسهِّل عملية التعلم. وعلاوة على ذلك، يتمحور التعلم المتمركز حول الطالب على

المهارات والممارسات التي من شأنها إتاحة التعلم مدى الحياة وإيجاد حلول للمشكلات بصفة مستقلة. لذلك، كلما بذل الطلاب جهودهم تجاه ما هم شغوفون به بطبعهم، فإنهم سيكتسبون الخبرة والمهارات اللازمة لتطوير قدراتهم الفطرية[60].

بالإضافة إلى ذلك، من أجل مساعدة الطلاب على استيعاب القدر اللازم من المعرفة والمهارات التي تتوافق مع قدراتهم الفطرية، فإنه يجب على المدرسين المسلمين أن يتعلموا من الأساليب التي اتبعها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تعليم أصحابه (رضي الله عنهم). على سبيل المثال، ولكوني مدرسًا في كليات التقنية العليا (الإمارات العربية المتحدة)، أدركتُ أن الطلاب في أقسام الهندسة يربطون معادلة تُدرس في مادة دراسية باعتبارها نظرية فريدة خاصة بالموضوع، وأخفقوا في إدراك أنَّها جزء من مبدأ نظرية عالمية أشمل يمكن تطبيقها على مجموعة واسعة من الظواهر الطبيعية. ولهذا السبب، تمكَّن الطلاب من استخدام صيغ المعادلات المتعلقة بالنظرية بشكل ممتاز، إلا أنهم أخفقوا في تصور المفاهيم الأساسية المخفية وراء التطبيقات. وغالبًا ما ستتكون لدى الطلاب مفاهيم خاطئة وصعوبات في التعلم في حال لم تتوفر لديهم القدرة على تكوين حلقة الوصل بين النظرية وتطبيقاتها. ومن جانب آخر، سيصبح هؤلاء الطلاب مهندسين وسيحتاجون إلى التحلي بالتفكير الناقد والإبداعي لحل المشكلات الفنية المستقبلية أو ابتكار عملية جديدة. لذا، يُعد تدريس مهارات التفكير أهم بكثير من مجرد تقديم المعلومات. إذًا؛ ما هي إستراتيجيات التدريس التي يمكن أن تجعل الطلاب ينخرطون في التفكير ويشاركون بقوة في عملية التعلم؟ (1) كما علمنا الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ فإن التفكير الإيجابي ذو أهمية حيوية في جعل الطلاب منفتحين على التفكير. بالفعل أثبتت منشورات الأبحاث أن المدرسين الفعالين قد نجحوا في جعل الطلاب يشعرون بالسعادة حيال عملية التعلم، بالإضافة إلى جعلهم أكثر اهتمامًا بتعزيز الحافز الذاتي لديهم[61] (2) وكما اتخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) التجارب الحياتية

باعتبارها فرصة للإرشاد والتوجيه، فقد تبين أيضا أنَّ الفصول التي يُدرس فيها بنشاط تدفع الطلاب للمشاركة بشكل أكبر في عملية التعلم وتطوير المزيد من المهارات؛ نظرًا لأنَّهم يتمتعون بمزيد من الاستقلالية الذاتية تجاه التعلم، كما أنهم ينخرطون بشكل أكبر في التفكير أثناء الأنشطة العملية[61]. (3) أخيرًا، وعلى منوال النبي (صلى الله عليه وسلم)، فإن استخدام أسلوب القياس يشكل وسيلة فعالة للغاية في وضع تصوّر للنظرية، في الواقع، إنَّ استخدام مفهوم تناظري من شأنه أنَّ يساعد الطلاب على تكوين صور في أذهانهم من أجل وضع تصور للظواهر الفيزيائية وراء كل صيغة نظرية. لذلك فإن استخدام أسلوب القياس بإمكانه مساعدة الطلاب في اكتساب المزيد من المعرفة والمهارات بسبب ارتفاع مستوى تفكيرهم[62].

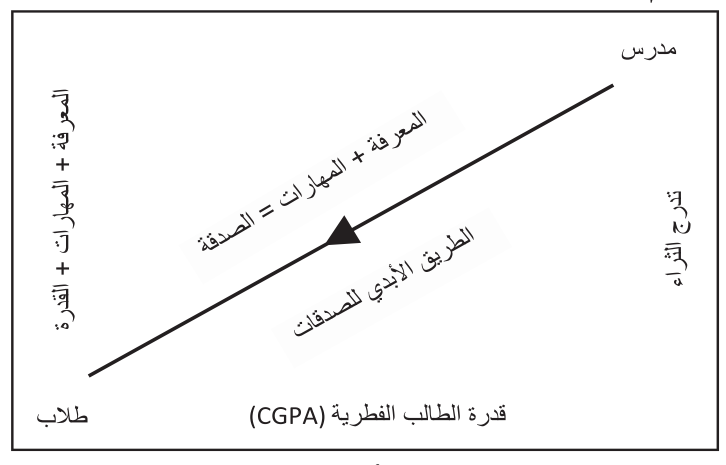
ومن الأمثلة الموضحة للآثار المفيدة لاستخدام أسلوب القياس وإستراتيجيات التعلم النشط في عملية التعلم أنه تمت الاستعانة بالقانون العالمي الثاني للأنظمة الديناميكية (المعادلة 3) في هذا الكتاب لتقديم نموذج رياضي لتحديد مقدار المعرفة والمهارات المكتسبة في الفصول الدراسية (تدفق المعرفة والمهارات). أولًا، يُفترض أن القدرات الفطرية للطالب يمكن تمثيلها بمتوسط التقدير التراكمي للدرجات (CGPA). وبما أن الطلاب الذين حققوا متوسط تقدير تراكمي للدرجات أعلى يتعلمون بشكل أسرع، بالتالي؛ فإنَّ «المقاومة» لعملية التعلم تساوي معكوس متوسط التقدير التراكمي للدرجات (CGPA/1). وتصف المعادلة النوعية التالية مقدار المعرفة والمهارات التي اكتسبها الطلاب[61]:

$$\text{تدفق (المعرفة + المهارات)} \propto \frac{\text{حافز الطالب}}{\left(\frac{1}{\text{متوسط التقدير التراكمي للدرجات}}\right)} \qquad (16)$$

إذا كان من الممكن تمثيل المعرفة والمهارات المكتسبة على وجه التقريب بالتقدير الكلي للدرجات (FGP) الذي يُفترض أنَّه مقياس مباشر لأداء الطالب مع إدخال عامل تصحيح ($\propto$)، سيتم تقديم عامل دداش للتحفيز (DMF) لدى الطلاب[61]:

(متوسط التقدير التراكمي للدرجات) . (α) . (عامل دداش للتحفيز) = التقدير الكلي للدرجات **(17)**

استنادًا إلى المعادلة (17)، وفيما يتعلق بالقدرة الفطرية للطلاب على التعلم (متوسط التقدير التراكمي للدرجات: CGPA)؛ فإن إستراتيجيات التدريس التي تعزز الحافز الذاتي لدى الطلاب (عامل دداش للتحفيز: DMF) ستكون قادرة على تعزيز مقدار المعلومات المكتسبة لدى الطلبة من خلال إطلاق إمكاناتهم الفطرية كاملةً، وسيؤدي ذلك حينها إلى تحقيق أقصى قدر ممكن من المعرفة من المادة الدراسية واكتساب أعلى قدر من القدرة على إتقان المهارات اللازمة لوظيفتهم المستقبلية. في الواقع، تظهر أحدث الأبحاث الأكاديمية التي أجريتها أنَّ إستراتيجيات التدريس التي طبقها نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) تتسم بالقدرة على تعزيز الحافز والأداء لدى الطلاب[61-62]. وأخيرًا، نظرًا لأنَّ الطلاب يمكنهم استخدام قدرتهم الفطرية الكاملة مع المعرفة والمهارات المطلوبة، فسيتحصل الطلاب ذوو الحوافز الذاتية الأقوى على أعلى المهارات التقنية الممكنة (KSA= المعرفة والمهارات والقدرات) اللازمة لأداء واجبتهم الإلهية كاملةً من أجل تعزيز سير العمل في أماكن عملهم المستقبلية.



الشكل التوضيحي (12): الطريق الأبدي للصّدقات في الفصول الدراسية.

في ملاحظة أخيرة، يتمتع المدرسون بمكانة رفيعة للغاية في الإسلام؛ فكما قال نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم): «فضلُ العَالِم على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْناكم. إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وملائِكتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِ، حتى النملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليُصَلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ»[63]. وبناءً عليه، فإذا كانت النية وراء التدريس هي إرضاء الله (القانون الإلهي الأول للصدقات) من خلال مساعدة الطلاب على النجاح، وسيعني ذلك تطهير نفوس المدرسين المسلمين وتزكيتها بأنفسهم (الشكل التوضيحي 12) وأن المعارف والمهارات التي يدرسونها ستحتسب أعمالًا صالحة في الطريق الأبدي للصدقات (القانون الإلهي الثاني للصدقات).

وختامًا، وعلى غرار المنوال الذي اتبعه النبي (صلى الله عليه وسلم) في تشجيع أصحابه (رضي الله عنهم) على الانفتاح على الأمم الأخرى حتى يعرفوا عاداتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم، يمكن للمدارس والجامعات في الدول الإسلامية أن تنشيء أقسامًا للغات والثقافات من أجل تشجيع الطلاب على تعلم بعض اللغات ومعرفة مختلف الثقافات، وذلك حتى يتمكنوا من التواصل البشر كافة في جميع أنحاء الكوكب من أجل إيصال رسالة الإسلام بحكمة وسلام.

الربيع الأبدي

[وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]

(القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 25).

لم أشعر بفصل الربيع بشدة مثلما شعرتُ به خلال عام 1995 في بلدة إيكيدا الصغيرة بالقرب من مدينة أوساكا (اليابان). فقبل حلول فصل الربيع وفي طريقي إلى مركز الأبحاث، اعتدتُ على رؤية اليابانيين ووجوههم تحمل طابعًا جادًا للغاية بينما يسيرون سريعًا في الشوارع. ومع ذلك، وبحلول منتصف شهر مارس، أدركتُ أن السعادة ما لبثت تبدو على وجوه المارة بشكل أكبر، وأصبح السير أكثر راحة. لقد بدا أنهم متناغمون مع اللون الوردي الذي اكتست به الأشجار وكذلك طقس الربيع الدافئ. وخلال الأسبوع الأول من شهر أبريل، حل موسم الربيع بالكامل فوق بلدة إيكيدا؛ حيث تحلت بعض أشجار الكرز في المدينة بأزهارها ذات لون وردي فاتح وبيضاء، وأشجار كرز أخرى ذات أزهار وردية داكنة أو صفراء أو خضراء. كما أصبحت الشوارع أكثر حيوية، وبدأ العديد من الأشخاص والشركات في تنظيم حفلات الذهاب في الحدائق. ذات يوم، ذهبت مع رئيسي وجميع أعضاء فريق الأبحاث للاسترخاء في الحديقة، فوجئت لأول مرة برؤية فئات الشعب الياباني الخجول من جميع الأعمار تغني وترقص احتفالًا تحت أشجار الكرز الوردي. وكان بعض الأشخاص يلتقطون صورًا للأشجار أو الأزهار المختلفة، بينما كان الآخرون يستنشقون رحيق أزهارها. كما التقيت أيضًا ببضعة أشخاص يلقون أشعارًا يابانية تُدعى «شعر الهايكو» عن احتفالية هانامي (احتفالية مشاهدة أزهار الكرز).

بحلول نهاية مايو، بدأت الأشجار تتساقط أوراقها الجميلة، بينما بدت الأمطار الخفيفة المتساقطة وكأنها تجرف فرحة ساكني البلدة، وعادت

الجدية لتعلو الوجوه في الشوارع مجددًا مثلما هو الحال مع الأشجار المتساقط أوراقها في الحدائق. خلال تلك الفترة، كانت شوارع المدينة الهادئة مغطاة ببتلات الزهور الوردية معلنةً عن مجيء فصل الصيف الحار والرطب للغاية.

[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10)]

(القرآن الكريم: سورة الشمس (91)، الآيات: 7-10).

بالاتساق مع هذه الآية الكريمة، استخدم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) أسلوب القياس في الحديث النبوي التالي: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمْرٍ على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات»[64]. وإذا ما نظرنا إلى الوقت الذي نقضيه في أداء الصلاة لله في اليوم الواحد باعتباره صدقة مقدمة لله، فإنني أرى أنَّ الأنهار التي ورد وصفها في هذا الحديث النبوي الشريف يمكن أن تفسر باعتبارها الطريق الأبدي للصدقات الذي تطهر روحنا ويزكيها. في الواقع، مع كل عمل من الأعمال الصالحة التي نؤديها، نستشعر القرب من رحمة الله (سبحانه وتعالى)، وذلك كما ورد ذكره القرآن الكريم **[إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ]** (القرآن الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 56). لذلك، وعلى غرار الطبيعة الرائعة بعد التدفق الدوري للصدقات، فإن المكافأة الإلهية لتقديم يد العون للآخرين هي بالتأكيد الشعور بفصل الربيع الرائع. وفي إطار هذا الموضوع، يقول رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) : «ليس الغِنى عن كثرة العرَض، ولكن الغِنى غِنى النفس»[65]. وهذا الحديث النبوي الشريف يدعمه العلم حاليًا، وذلك من خلال مسح الرنين المغناطيسي الذي يظهر «تأثير التوهج الدافئ» في مراكز المكافأة في المخ أثناء مواقف محددة. وقد أُجري بحث في شكل تجارب جرى خلالها منح مجموعة من الأشخاص مبالغ مالية؛ وتم توجيه نصف هؤلاء الأشخاص لإنفاق المال على أنفسهم، وطُلب من النصف الآخر المطلوب إنفاق المال على أشخاص آخرين. وعلى عكس توقعاتهم، شعرت نصف المجموعة التي أنفقت المبالغ المالية على الآخرين

بالمزيد من المتعة خلال التجربة مقارنةً بزملائهم غير المتصفين بالإيثار[66].

[مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ]

(القرآن الكريم: سورة محمد (47)، الآية: 15).

إلى جانب الحديقة غير المرئية التي نستشعر فيها رحمة الله (سبحانه وتعالى) في الطريق الأبدي للصدقات، فإن الحدائق الأبدية ذات الأنهار المتدفقة هي الوجهة الأخيرة لأرواح أولئك الذين يبتغون مرضاة الله أثناء قيامهم بأنشطتهم الاجتماعية والمهنية، وهذا ما تدعمه هذه الآية الكريمة: **[وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ]** (القرآن الكريم: سورة فاطر (35)، الآية: 37). بالفعل، سيصرخ الظالمون متوسلين من الله (سبحانه وتعالى) أن يخرجهم من النار ويعيدهم إلى الحياة الدنيا لفعل الخير. لئن كان كل ركن من أركان الإسلام هو عمل صالح نتقرب به إلى الله (سبحانه وتعالى)، فما أفهمه هو أن العمل الصالح الذي ذُكر في هذه الآية الكريمة من المرجح أن يكون المقصود به واجباتنا الإلهية من الصدقات المبذولة لمساعدة الآخرين. ويمكن لذلك تأكيد أنَّ عبادة الله (سبحانه وتعالى) من خلال أفعالنا الصالحة وتعاملاتنا مع البشر والحيوانات والنباتات أثناء قيامنا بأنشطتنا الاجتماعية والمهنية من الممكن أن تكون موضع تقدير كبير من الله (سبحانه وتعالى)، وبالتالي؛ فهي أفضل طريق إلى الربيع الأبدي.

فيما يتعلق بالأسئلة المطروحة، ومنها: هل الطريق الأبدي للصدقات في هذه الحياة هو أنهار الجنة المتدفقة غير المرئية؟ في واقع الأمر؛ يبدو أن الأعمال الصالحة تقربنا من حدائق الجنة وتجعلنا نشعر بالسعادة. وعليه؛ هناك سؤال مُلِح وهو هل الجنة موجودة حولنا ولكنها غير مرئية نظرًا لأن روحنا حبيسة حواس جسدنا؟ أذكركم بأنَّ كلمة «جنة» تعني في اللغة العربية «تغطية شيء ما أو إخفائه». إذًا؛ فالجنة هي مكان غير مرئي لنا.

ملاحظات ختامية

[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)]

(القرآن الكريم: سورة يونس (10)، الآيتان: 9-10).

خلقنا الله (سبحانه وتعالى) بمحبته المطلقة حتى نحيا حياة السعداء خالدين في الجنة، وما هذه الحياة القصيرة إلا اختبار إلهي لنا. ولتوضيح ذلك، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[67]. إن المحبة والرحمة التي يُظهرها الله للبشر يمكن تفسيرها بسهولة من خلال قراءة القرآن الكريم. في واقع الأمر، تبدأ جميع سور القرآن الكريم باستثناء سورة واحدة بالبسملة، وهي: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» بالإضافة إلى ذلك، فأسماء الله الحسنى: التَّوَاب والرَّؤُوف والْوَدُود والْحَلِيم والرَّحْمَن والرَّحِيم والبَر والْكَرِيم والْوَهَّاب، جميعها تشير إلى أنَّ الله (سبحانه وتعالى) يتصف بالرحمة والخير والكرم.

[قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ]

(القرآن الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 31).

ومن السمات المميزة للمؤمنين أن الله (سبحانه وتعالى) يحبهم ويحبونه. يقول الله تعالى في معرض كتابه الحكيم **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ]** (القرآن الكريم: سورة المائدة (5)، الآية: 54). لذلك، فإن المؤمنين هم الذين يحبون الله حبًا لا يضاهيه شيء. ويتضح ذلك في هذه الآية الكريمة: **[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ]** (القرآن الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 165). كما أن المحبة والعناية والدعم ورعاية البشر والحيوانات والنباتات

لأنهم جميعًا من مخلوقات الله (سبحانه وتعالى) هي واحدة من أوثق روابط الإيمان، وهي واحدة من أهم المبادئ التي يُبنى عليها المجتمع الإسلامي. في إطار هذا الموضوع، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ»[68].

[فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ]

(القرآن الكريم: سورة الجاثية (45)، الآية: 30).

حاولتُ في هذا الكتاب التعلم بشأن الوصية الإلهية التي كانت موجهة إلى الكون والإنسانية على حد سواء. وكانت أول صلة تمكنت من عقدها هي أن الكون والبشر قد خُلقا ليكونا في حركة مستمرة؛ مما يعني وجود أنظمة ديناميكية وغير متوازنة. كما أدركتُ أن الطبيعة غير متوازنة في الطاقة، نظرًا لأنَّ الشمس لا تدفئ مناطق الأرض المختلفة بالتساوي. أما بالنسبة للإنسانية، فتعود عدم المساواة إلى حقيقة أن الله (سبحانه وتعالى) خلقنا ضمن إطار «تدرج» للثروات، والذي يتضمن الأمور المالية والعناصر المادية والصحة والمظهر والتمتع بالذكاء اللازم للتعلم والقدرة على إتقان المهارات المختلفة.

الدرس الأهم الذي تعلمه هو أن الله (سبحانه وتعالى) استخدم الطبيعة لتكون بمثابة مدرسة عالمية لكي يبين لنا أن علمه قائم على الصدقات. وبناءً على الآيتين الكريمتين (القرآن الكريم: سورة الرحمن (55)، الآية: 7، وسورة الحجر (15)، الآية: 21) اللتين استعنت بهما في إدراك العلم الإلهي وتكوين منظور روحي للحركات في الطبيعة، فقد توصلت إلى فهم أنَّ الله (سبحانه وتعالى) يقيم توازنًا بين مناطق الأرض المختلفة. ويعرض هذا الكتاب اثنين من القوانين الإلهية للصدقات الخاصة بالعلم الإلهي في محاولةً منه لتوضيح الكيفية التي يرسي الله (سبحانه وتعالى) بها العدالة بين الأغنياء والفقراء وينشئ بها الانسجام في الكون. وللغرض نفسه، تمت الإشارة للقوانين الإلهية للصدقات ذاتها من أجل المسلمين في القرآن الكريم

والأحاديث النبوية الشريفة. وثَمَّة انسجام تام بين الدلائل التي أوجدها الله (سبحانه وتعالى) في الطبيعة، حيث يصفها كلٌ من آيات الذكر الحكيم والقوانين العالمية وصفًا علميًا. بالإضافة إلى ذلك، فبعد تجلي إشارات الصدقات في فصول الصيف والخريف والشتاء، تأتي المكافأة المتمثلة في الاستمتاع المستحق بجمال فصل الربيع. وهذه المكافأة للتدفق الدوري للصدقات هي أحد الدلائل التي تحل كل عام لتكون بمثابة درس للبشرية. وبالمثل، ووفقًا للقرآن الكريم، فإنَّ مساعدة البشر والحيوانات والنباتات أثناء قيامنا بأنشطتنا الاجتماعية والمهنية (المعاملات) تدخل على قلوبنا السعادة والهدوء، كما تؤدي إلى تطهير نفوسنا وتزكيتها في الطريق الأبدي للصدقات الذي جرى تقديمه في هذا الكتاب. واستنادًا إلى القرآن الكريم وتعاليم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، يمكن أن يرتبط هذا الطريق الأبدي للصدقات غير المرئي بالصراط المستقيم كما ورد في الآية الكريمة [**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**] (القرآن الكريم: سورة الشورى (42)، الآية: 52).

وكما هو الحال في طريقة عبادتنا لله (سبحانه وتعالى) من خلال ممارسة أركان الإسلام الخمسة (العبادات)، يُفترض بنا نحن المسلمون أن نعبده (سبحانه وتعالى) أثناء قيامنا بأنشطتنا المهنية، وذلك من خلال مساعدة الأفراد في أماكن العمل (المعاملات). إذ توصي منشورات الأبحاث بالمساعدة التفاعلية (أي تقديم يد المساعدة عند الطلب)، حيث يتصور المساعدون أن لهم تأثير أكبر، ومن ثَمَّ ينخرطون بشكل أعمق في العمل. وفي هذا المنظور، وباتباع التراث الإسلامي، يقترح هذا الكتاب تطبيق القانونين الإلهيين للصدقات في المؤسسات الإسلامية من أجل تحقيق أقصى قدر من كفاءة سير العمل وتهيئة بيئة سعيدة في أماكن العمل. والأهم من ذلك هو أن الموظفين، في جميع مستويات المؤسسات، سيصبح بإمكانهم احتساب واجباتهم اليومية بمثابة أعمالًا صالحة في الطريق الأبدي للصدقات.

في وقتنا الحالي، ثمة تناقض واضح مع القوانين الإلهية للصدقات التي فرضها الله (سبحانه وتعالى) على الكون أجمع، فغالبًا ما يتدفق المال في مجتمعاتنا القائمة على الاستهلاك من المستهلكين الفقراء إلى الشركات والبنوك الأكثر ثراءً. لذلك، من الممكن أن تكون الزيادة في شدة الكوارث الطبيعية المرتبطة بظاهرة الاحتباس الحراري وجائحة فيروس كورونا المستجد من بين التحذيرات التي أرسلها الله (سبحانه وتعالى) في الطبيعة لحثنا على الامتثال للقوانين الإلهية للصدقات وتغيير نمط حياتنا من الاستهلاك إلى المجتمعات القائمة على الصدقات. ونظرًا لكون التعليم هو السبيل إلى حل المشكلات الاجتماعية والتقنية التي يواجهها عالمنا اليوم، يطرح هذا الكتاب أيضًا نظامًا تعليميًا قائمًا على الإسلام من أجل تدريس العلوم الطبيعية والاجتماعية ضمن إطار العلم الإلهي لصالح الإنسانية، وذلك في ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. إن طرق التدريس التي اتبعها النبي (صلى الله عليه وسلم) ستكون المرجع الأساسي لجميع المدرسين المسلمين لمساعدة الطلاب على استخدام قدراتهم الفطرية كاملةً وتعلم المهارات والمعارف المناسبة حتى يتمكنوا من أداء واجباتهم الإلهية في أماكن عملهم المستقبلية واحتساب أنشطتهم اليومية أعمالًا صالحة في الطريق الأبدي للصدقات.

وأخيرًا، بينما كنتُ أقرأ القرآن الكريم، أدركتُ أنه يمكن أن يكون هناك أيضًا طريق أبدي للمغفرة. فعلى سبيل المثال، يمكن استخلاص القانون الإلهي الثاني للمغفرة من هذه الآية الكريمة [**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**] (القرآن الكريم: سورة الزمر (39)، الآية: 53). ومن ناحية أخرى، يمكن استخلاص القانون الإلهي الأول للمغفرة، وهو الشرط المسبق للقانون الثاني للمغفرة، من هذا الجزء من الآية الكريمة [**وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**] (القرآن الكريم: سورة الزمر (39)، الآية: 54). وفي الختام، ثَمَّة طريق أبدي للصدقات يرتبط بأعمالنا

الصالحة التي نقوم بها لابتغاء مرضاة الله (سبحانه وتعالى)، وهناك أيضًا طريق أبدي لمغفرة السيئات لكي ننال عفوه (سبحانه وتعالى). ويمثِّل يوم القيامة الميزان بين الأعمال الصالحة المقبولة والسيئات التي لم يغفرها الله. فوفقًا للآية الكريمة [**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**] (القرآن الكريم: سورة الكهف (18)، الآية: 46)، لا ينبغي لنا أن نسعد أو نحزن بشأن الأمور المادية التي نملكها (المال والجمال والمكانة الاجتماعية والأبناء)، لأنها مجرد زينة واختبار لنا في هذه الحياة الدنيا، وأن ما يهم هو ما نفعله بما قدمه الله لنا، لأن أفعالنا ونوايانا هي وحدها التي ستكون في ميزان يوم القيامة. وكما ورد في الآية الكريمة [**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا**] (القرآن الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 21)، فإن المكافأة الأبدية في الجنة ستكون مختلفة للجميع، وذلك استنادًا إلى الميزان.

ختامًا، تجدر الإشارة إلى أنه لن يُدخل الجنة أحدًا إلا برحمة الله، فكما رُوي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ». قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»[69].

[وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]

(القرآن الكريم: سورة فصلت (41)، الآية: 33).

يا الله يا «مُجِيب»،

اللهم إنا نسألك الفلاح والتوفيق في جهودنا، والصلاح في أعمالنا، والاستقامة في قلوبنا سرًا وعلانية.

ونسألك أن ترزقنا الفردوس الأعلى.

اللهم آمين.



الاختصارات والتسميات

الاختصارات ومعناها بالكامل

CGPA: متوسط التقدير التراكمي للدرجات

COP: مؤتمر الأطراف

DMF: عامل دداش للتحفيز

FGP: التقدير الكلي للدرجات

GDP: الناتج المحلي الإجمالي

IPCC: الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ

KSA: المعرفة والمهارات والقدرات

PE: طاقة الوضع

SCL: التعلم المرتكز حول الطالب

FC: التدفقات الاجتماعية للاستهلاك

WFM: إدارة القوى العاملة

التسميات

A: مساحة السطح

E: الطاقة

k: الموصلية الحرارية

k_{air}: معامل انتقال الكتلة في الهواء الجوي

P: الضغط الجوي للهواء

P_w: الضغط الجزئي للماء

Q: الحرارة

R: المقاومة الكهربائية

R_{air}: مقاومة الهواء الجوي

T: درجة الحرارة

t: الزمن

WE: كمية المياه المتبادلة لكل وحدة زمنية أثناء عملية التبخر

WF : كمية المطر أو الثلج المتساقط لكل وحدة زمنية ...

WT : كمية المياه المتبادلة لكل وحدة زمنية أثناء عملية النقل

قائمة الجداول والأشكال التوضيحية



المراجع

1. Allah in Wikipedia
2. Sahih Bukhari 50:894
3. 99 names of Allah – Meaning and Explanation https://99namesofallah.name/
4. 30 facts about Islam: https://www.30factsaboutislam.com/the-meaning-of-muslim/
5. Ali, Shamsher. “Science and the Qur’an”.In Oliver Leaman. The Qur’an: AnEncyclopedia (PDF). p. 572. Retrieved13 May 2018.
6. Muzaffar Iqbal (2007). Science & Islam.Greenwood Press.
7. التطبيقات العملية والتقانية على الخلايا الكهروكيميائية
8. التوصيل الحراري heat-transfer-/04/03/https://3lumalnawa.com/1440 /conduction
9. Sadullah Khan (2019), Stewardship of WATER, the Commodity of Life in IslamiCity https://www.islamicity.org/7781/stewardship-of-water-the-commodity-of-life/?gclid=CjwKCAjwibzsBRAMEiwA1pHZrnRheLGKY7ceb_ybqcN2kX5zAthv23WMYnT6V6NSsXG4FHzR-VyTARoCLDAQAvD_BwE
10. رسومات-دورة-الماء-في-الطبيعة https://www.pinterest.com/ /pin/276127020891499701
11. Sunan al-Tirmidhi̅ 2687
12. Nicholas Wade, (2009); We May Be Born With an Urge to Help, Science, New York Times https://www.nytimes.com/200901/12//science/01human.html.
13. Sunan al-Tirmidhi̅ 2517
14. ISLAMCITY: Zakat explained in http://everything.explained.today/Zakat/
15. Fiqh-us-Sunnah, Volume 3, Number 98
16. 16. Sunan Tirmidhi, Hadith: 1955, Musnad Ahmad, vol. 3 pg. 32
17. Ṣaḥi̅ḥ Muslim 2593
18. Sahih al-Bukhari 2466

19. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī 2195, Ṣaḥīḥ Muslim 1553
20. Business Dictionary. http://www.businessdictionary.com/definition/organization.html
21. Traci Moxson, (2014); THE RIGHT PEOPLE, IN THE RIGHT PLACE, AT THE RIGHT TIME; ICMI, Published: April 02, 2014.
22. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī 5665, Ṣaḥīḥ Muslim 2586
23. When the Prophet migrated to Medina, how did he create religious coexistence? Dar Al Ifta El- Missriyyah. http://www.dar-alifta.org/Foreign/ViewArticle.aspx?ID=733&CategoryID=4
24. Dr. Syadiyah Abdul Shukor (2019), Business Strategy and Strategic Planning From Islamic Perspective in ENTREPRENUERSHIP, ORGANISATIONAL BEHAVIOUR & ISLAMIC FOUNDATION, http://gsmuamalat.usim.edu.my/31412-/
25. Harrison Monarth (2016), Act Like a Leader: Help Others Succeed. Build Strategic Alliances. Know Yourself, in Entrepreneur https://www.entrepreneur.com/article/272725
26. Shanna B. Tiayon (2019), When You Should Help Your Coworkers—and When to Think Twice; Greater Good wants to know: Do you think this article will influence your opinions or behavior? https://greatergood.berkeley.edu/article/item/when_you_should_help_your_coworkers_and_when_to_think_twice
27. At-Tirmidhi
28. Sahih al-Bukhari, 8:73:56
29. Sahih Muslim 2999
30. Kendra Cherry, What Is Democratic Leadership? Characteristics, benefits, drawbacks, and famous examples, Verywell mind, October 23, 2018.
31. Kendra Cherry, Autocratic Leadership: Key Characteristics, Strengths, and Weaknesses of Autocratic Leadership, Verywell mind, October 22, 2018.
32. Braden Becker, The 7 Most Common Leadership Styles & How to Find Your Own, Hubspot, May 2018 https://blog.hubspot.com/marketing/

leadership-styles.

33. Sendjaya, Sen; Sarros, James C. (200201-09-). “Servant Leadership: Its Origin, Development, and Application in Organizations”. Journal of Leadership & Organizational Studies. 9 (2): 57–64. doi:10.1177107179190200900205/. ISSN 15480518-.
34. QURANREADING (2018): Top Leadership Qualities of the Holy Prophet Muhammad (PBUH): http://www.quranreading.com/blog/top-leadership-qualities-of-the-holy-prophet-muhammad-pbuh/
35. Elizabeth Hopper, Helping Others Makes Better Leaders (5 Tips to Grow Others) in Approachable leadership. https://approachableleadership.com/helping-others/
36. Kent Julian (2018); 10 Great Leadership Quotes for Helping Others Grow in Live it Forward. https://liveitforward.com/10-great-leadership-quotes-for-helping-others-grow/
37. Top Leadership Qualities of the Holy Prophet Muhammad (PBUH) (2015) in http://www.quranreading.com/blog/top-leadership-qualities-of-the-holy-prophet-muhammad-pbuh/
38. Mohsen Haredy, (2016); The Prophet’s Wisdom in Leading His Companions in Islami City https://www.islamicity.org/8607/the-prophets-wisdom-in-leading-his-companions.
39. Sahih Muslim, 91
40. Theresa Corbin, Muhammad (PBUH)- Prophet, Leader, Servant, 2017 https://aboutislam.net/reading-islam/about-muhammad/muhammad-pbuh-prophet-leader-servant/
41. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī 6719, Ṣaḥīḥ Muslim 1829
42. Sahih Muslim 4487.
43. http://ncmh.org.sa/index.php/pages/psychologicalD/374
44. McLeod, S. A. (2018, May 21). Maslow’s hierarchy of needs. Retrieved from https://www.simplypsychology.org/maslow.html.
45. Zin Eddine Dadach, The Utilization of a Universal Concept for the Modelisation of Consumer Spending, Journal of Marketing

Management and Consumer Behavior, Vol 3, No 2 (2021).

46. Kimberly Amadeo, 2019, Consumer Spending Trends and Current Statistics in The Balance: https://www.thebalance.com/consumer-spending-trends-and-current-statistics-3305916
47. Erin El Issa (2017); 2017 American Household Credit Card Debt Study in NERDWALLET'S https://www.nerdwallet.com/blog/credit-card-data/household-credit-card-debt-study-2017/
48. Joshua Becker, 7 Ways to Sample Living With Less, becomingminimalist, https://www.becomingminimalist.com/minimalist-living/
49. Theresa Domagalski and Tim Kasser (2002); The High Price of Materialism; The Academy of Management Review 29(1):135.
50. Eric van Bemmel, Why feeling pain is key to our happiness, The University of Melbourne, 10 August 2017
51. Quranic Definitions and Hadith Al-muflihûn, ridwân, Happiness in Islam, in Living Islam https://www.livingislam.org/k/qdh_e.htmlEric van Bemmel, Why feeling pain is key to our happiness, University of Melbourne, August 2017.
52. The Impact of Climate Change on Natural Disasters, Erath Observatory, 2017.
53. Andrea Thompson, Major Greenhouse Gas Reductions Needed by 2050: IPCC, Climate Central, April 13th, 2014.
54. Denise Chow, Carbon emissions dropped 17 percent globally amid coronavirus, NBC News , May 19, 2020, https://www.nbcnews.com/science/environment/carbon-emissions-dropped-17-percent-globally-amid-coronavirus-n1210331
55. Joachim Funke (2017), How Much Knowledge Is Necessary for Action? In Knowledge and Action pp 99111- , Springer.
56. Dr. Ragheb Elsergany (2011), Contributions of Muslims to the world in Islam story https://islamstory.com/index.php/en/artical/3407593
57. Ali, S. I. (2002). Sunnah of the Prophet: Educational Vision.: Dar Alfikr Al-Arabi.).

58. Vahap Gultekin (2012), The Educational Methods of Our Prophet (PBUH) in The Pen Magazine http://www.thepenmagazine.net/the-educational-methods-of-our-prophet-pbuh/
59. Kamal Shaarawy (2014), The Teaching Methods of the Prophet Muhammad (PBUH); The Message International Magazine https://messageinternational.org/the-teaching-methods-of-the-prophet-muhammad-pbuh/
60. Mihyar Hesson and Kaneez Fatima Shad (2007), A Student-Centered Learning Model, American Journal of Applied Sciences 4(9):628636-.
61. Zin Eddine Dadach, 2013; Quantifying the effects of an active learning strategy on the motivation of students. International Journal of Engineering Education, Vol. 29, No. 4, pp. 904–913, 2013.
62. Zin Eddine Dadach, 2016, “An introductory chemical engineering course based on analogies and research-based learning”, International Journal of Engineering Education Vol. 32, No. 5(B), pp. 2194–2203, 2016.
63. Sunan al-Tirmidhī 2685
64. Sahih al-Bukhari 528
65. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī 6081, Ṣaḥīḥ Muslim 1051
66. Sahih al-Bukhari 7498
67. Sunan Abī Dāwūd 4681
68. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī 6099, Ṣaḥīḥ Muslim 2818
69. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī 6099, Ṣaḥīḥ Muslim 2818